موسوعة الأخلاق

الجزء العاشر

العَفْو والصَّفْح - عُلُو الهِمَّة - الغَيْرَة

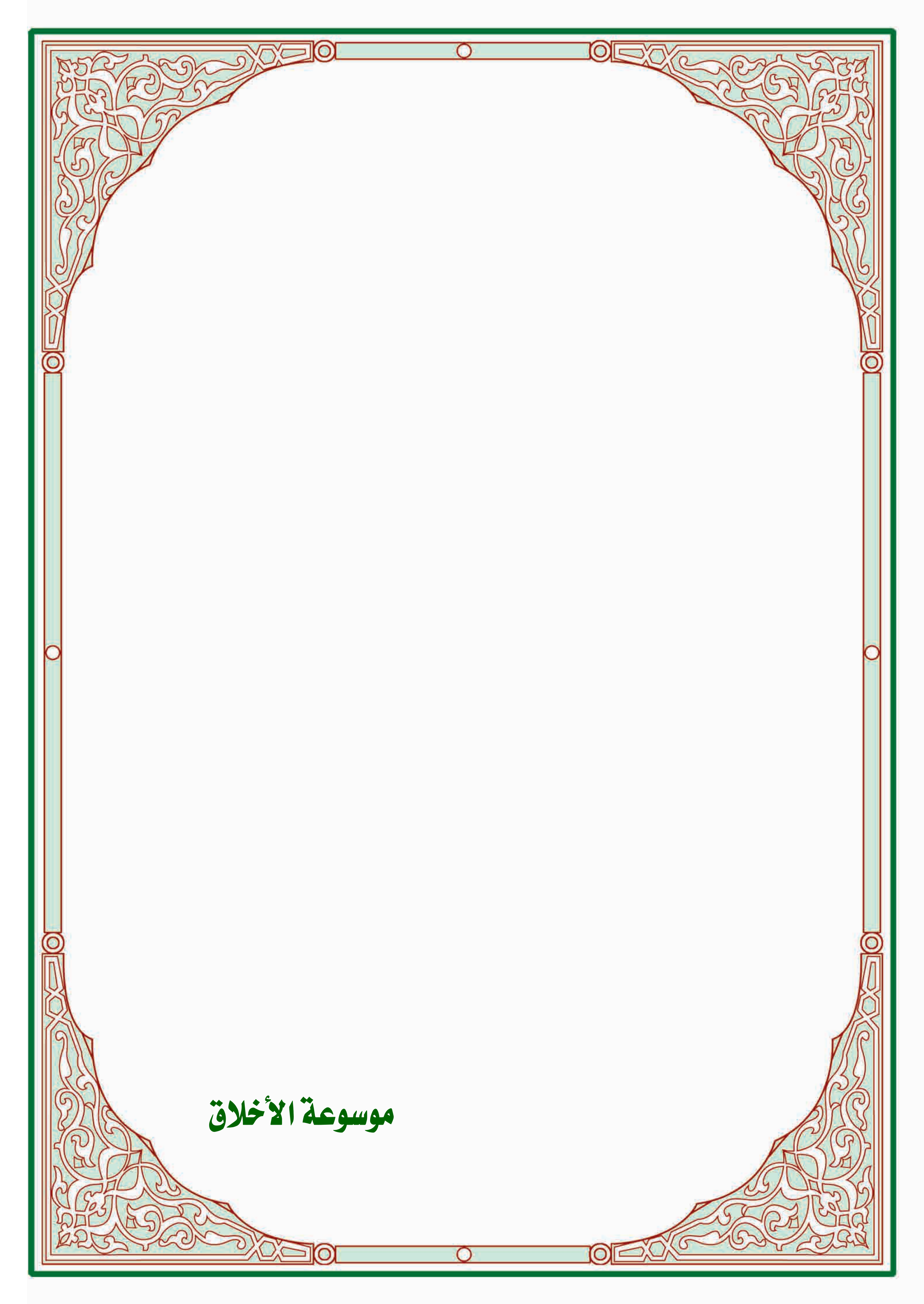
إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

إشراف الشيخ

عَلَوِيّ بن عبد القادر السَّقَّاف




موسوعة الأخلاق



موسوعة الأخلاق

الجزء العاشر

العَفْو والصَّفْح - عُلُو الهِمَّة - الغَيْرَة

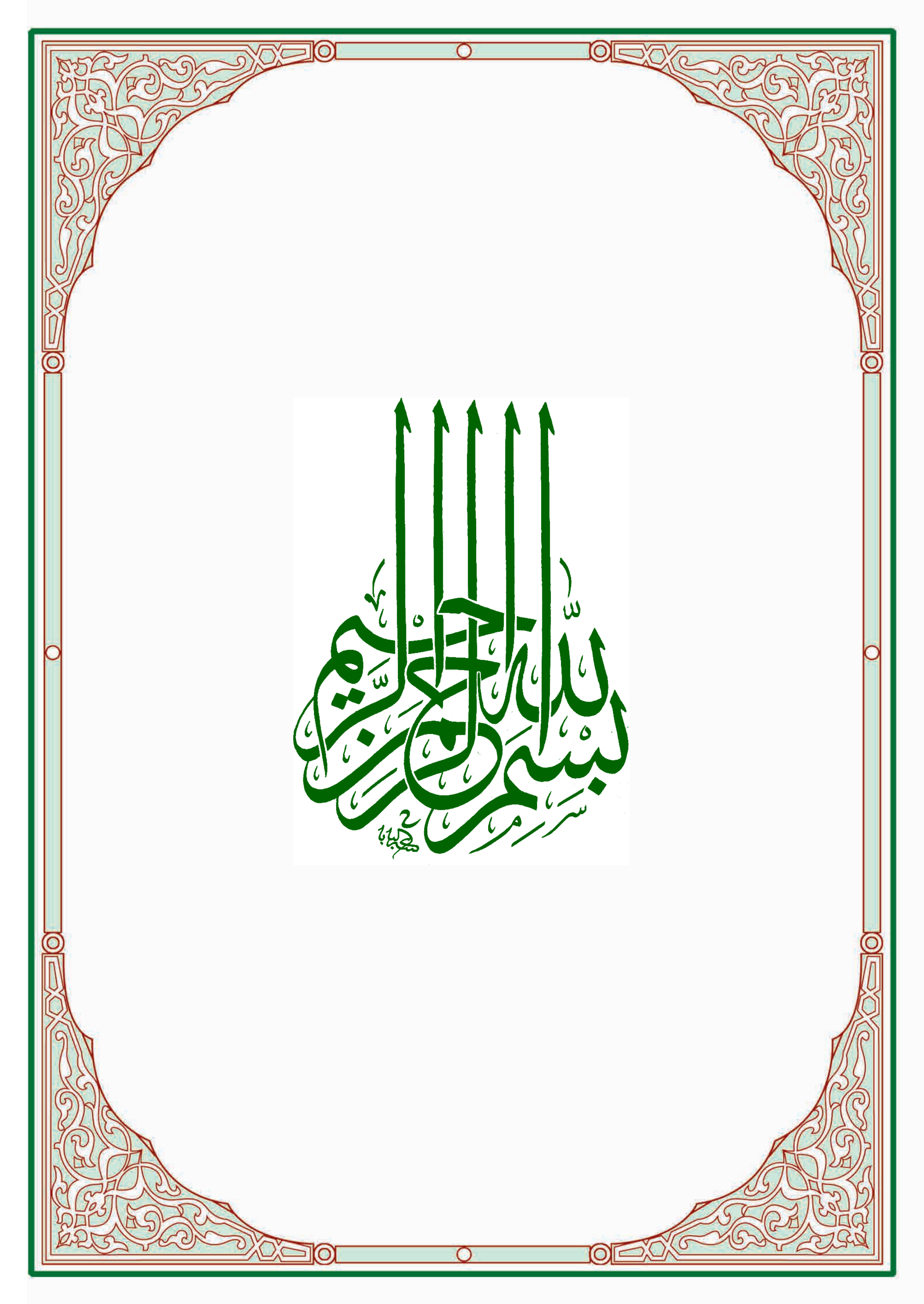
إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

إشراف الشيخ

علوي بن عبد القادر السَّقَّاف

الدُّرَرُ السَّنِيَّة
www.dorar.net


بسم الله الرحمن الرحيم



العَفْو والصَّفْح



العفو والصفح

معنى العفو والصفح لغةً واصطلاحًا:

معنى العفو لغةً واصطلاحًا:

- **معنى العفو لغةً:**

العفو مصدر عَفَا يَعْفُو عَفْوًا، فهو عافٍ وعَفُوٌّ، والعَفْوُ هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس، وعفوت عن الحق: أسقطته، كأنك محوته عن الذي عليه[١].

وقال الخليل: (وكلُّ مَن استحقَّ عُقوبةً فتركْتَه فقد عفوتَ عنه. وقد يكون أن يعفُوَ الإنسان عن الشَّيء بمعنى الترك، ولا يكون ذلك عن استحقاق)[٢].

- **معنى العفو اصطلاحًا:**

العفو اصطلاحًا: (هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب)[٣].

وقال الراغب: (العفو هو التجافي عن الذنب)[٤].

وقيل: (هو القصد لتناول الشيء، والتجاوز عن الذنب)[٥].

معنى الصفح لغةً واصطلاحًا:

- **معنى الصفح لغةً:**

الصفح مصدر (صَفَحَ عنه يَصْفَح صَفْحًا: أَعرض عن ذنبه، وهو صَفُوح

(١) انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٧٢/١٥)، ((المصباح المنير)) للفيومي (٤١٩/٢).
(٢) ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥٦/٤).
(٣) ((تحفة الأحوذي)) للمباركفوري (١٤٣/٦).
(٤) ((مفردات ألفاظ القرآن)) (ص ٥٧٤).
(٥) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص ٥١٨).

وصَفَّاحٌ عَفُوٌّ، والصَّفُوحُ الكريم؛ لأنه يَصْفَح عمن جَنى عليه)[١].

وذكر بعض أهل العلم أن الصفح مشتق من صفحة العنق؛ لأنَّ الذي يصفح كأنه يولي بصفحة العنق، إعراضًا عن الإساءة[٢].

- **معنى الصفح اصطلاحًا:**

الصفح: (هو ترك التأنيب)[٣].

وقيل: إزالة أثر الذنب من النفس[٤].

الفرق بين لفظة العفو ومترادفاتها:

- **الفرق بين العفو والصفح:**

(العفو والصفح متقاربان في المعنى:

قال الراغب: الصفح: ترك التثريب، وهو أبلغ من العفو وقد يعفو الإنسان ولا يصفح.

وقال البيضاوي: العفو ترك عقوبة المذنب، والصفح: ترك لومه. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾ [البقرة: ١٠٩]، ترقيًا في الأمر بمكارم الأخلاق من الحسن إلى الأحسن، ومن الفضل إلى الأفضل)[٥].

وقال القرطبي: (العفو: ترك المؤاخذة بالذنب. والصفح: إزالة أثره من النفس. صفحت عن فلان إذا أعرضت عن ذنبه)[٦].

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (٢/٥١٢).
(٢) انظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٥/٤٨٧).
(٣) انظر: ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص ٤٥٧).
(٤) ((الجامع لأحكام القرآن)) للقرطبي (٢/٧١).
(٥) ((الفروق)) لأبي هلال العسكري (ص ٣٦٢).
(٦) ((الجامع لأحكام القرآن)) (٢/٧١).

• الفرق بين العفو والغفران:

أن الغفران يقتضي إسقاط العقاب وإسقاط العقاب هو إيجاب الثواب فلا يستحق الغفران إلا المؤمن المستحق للثواب ولهذا لا يستعمل إلا في الله فيقال غفر الله لك ولا يقال غفر زيد لك إلا شاذا قليلا ... والعفو يقتضي إسقاط اللوم والذم ولا يقتضي إيجاب الثواب ولهذا يستعمل في العبد فيقال عفا زيد عن عمرو وإذا عفا عنه لم يجب عليه إثابته[1].

• الفرق بين العفو والذلِّ:

(أنَّ العفو إسقاط حقِّك جودًا، وكرمًا، وإحسانًا، مع قدرتك على الانتقام؛ فتؤثر الترك رغبة في الإحسان، ومكارم الأخلاق.

بخلاف الذُّل، فإنَّ صاحبه يترك الانتقام عجزًا، وخوفًا، ومهانة نفس، فهذا مذموم غير محمود، ولعل المنتقم بالحق أحسن حالًا منه. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٩])[2].

الترغيب في العفو والصفح:

أولًا: في القرآن الكريم

وردت آيات كثيرة في ذكر العفو والصفح والترغيب فيهما، ومن هذه الآيات:

- قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢].

---

(١) ((الفروق اللغوية)) لأبي هلال العسكري (ص ٢٣٥)

(٢) ((الروح)) لابن قيم الجوزية (ص ٢٤١).

قال ابن كثير: (هذه الآية نزلت في الصدِّيق، حين حلف ألا ينفع مِسْطَح ابن أثاثة بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال،... فلما أنزل الله براءةَ أمِّ المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على مَن كان تكلَّم من المؤمنين في ذلك، وأُقيم الحدُّ على مَن أُقيم عليه، شَرَع تبارك وتعالى، وله الفضل والمنة، يُعطِّفُ الصدِّيق على قريبه ونسيبه، وهو مِسْطَح بن أثاثة، فإنَّه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكينًا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر، رضي الله عنه، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد وَلَق[1] وَلْقَة تاب الله عليه منها، وضُرب الحدَّ عليها. وكان الصديق رضي الله عنه معروفًا بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب. فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: فإنَّ الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك. فعند ذلك قال الصديق: بلى، والله إنَّا نحبُّ -يا ربنا -أن تغفر لنا. ثم رَجَع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا، في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبدًا، فلهذا كان الصديق هو الصديق رضي الله عنه وعن بنته)[2].

- وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

(قوله تعالى... ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ يدخل في العفو عن الناس، العفو عن كلِّ من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم؛ لأنَّ العفو

---

(١) الولق: أخف الطعن. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٠/٣٨٣).

(٢) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٦/٣١).

ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلَّى بالأخلاق الجميلة، وتخلَّى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحسانًا إليهم، وكراهة لحصول الشرِّ عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠])[1].

– وقال سبحانه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

(قال ابن عباس رضي الله عنه: من ترك القصاص وأصلح بينه وبين الظالم بالعفو (فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) أي إن الله يأجره على ذلك. قال مقاتل: فكان العفو من الأعمال الصالحة)[2].

قال السعدي: (ذكر الله في هذه الآية، مراتب العقوبات، وأنها على ثلاث مراتب: عدل، وفضل، وظلم.

فمرتبة العدل: جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص، فالنفس بالنفس، وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها، والمال يضمن بمثله.

ومرتبة الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] يجزيه أجرًا عظيمًا، وثوابًا كثيرًا، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه؛ ليدلَّ ذلك على أنَّه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورًا به.

---

(١) ((تيسير الكريم الرحمن)) (ص ١٤٨).

(٢) ((الجامع لأحكام القرآن)) للقرطبي (١٦/٤١).

وفي جعل أجر العافي على الله ما يُهيِّج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فَلْيَعْفُ عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم؛ فإنَّ الجزاء من جنس العمل.

وأما مرتبة الظلم: فقد ذكرها بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠] الذين يجنون على غيرهم ابتداءً، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم)[1].

- وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

(هذا تحذير من الله للمؤمنين، من الاغترار بالأزواج والأولاد، فإنَّ بعضهم عدو لكم، والعدو هو الذي يريد لك الشر، ووظيفتك الحذر ممن هذا وصفه والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد، فنصح تعالى عباده أن توجب لهم هذه المحبة الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد، ولو كان فيها ما فيها من المحذور الشرعي ورغبهم في امتثال أوامره، وتقديم مرضاته بما عنده من الأجر العظيم المشتمل على المطالب العالية والمحاب الغالية، وأن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية، ولما كان النهي عن طاعة الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحذر منهم، والصفح عنهم والعفو، فإنَّ في ذلك من المصالح ما لا يمكن حصره، فقال: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤] لأنَّ الجزاء من جنس العمل.

---

(١) ((تيسير الكريم الرحمن)) للسعدي (ص ٧٦٠).

فمن عفا عفا الله عنه، ومن صفح صفح الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده كما يحبون وينفعهم، نال محبة الله ومحبة عباده، واستوثق له أمره)[١].

- وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: (أي: سجيتهم وخلقهم وطبعهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سجيتهم الانتقام من الناس)[٢].

ثانيًا: في السنة النبوية

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله))[٣].

قال القاضي عياض: (وقوله: ((ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا)). فيه وجهان:

أحدهما: ظاهره أنَّ من عُرف بالصفح والعفو ساد وعظم في القلوب وزاد عزه.

الثاني: أن يكون أجره على ذلك في الآخرة وعزته هناك)[٤].

- وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ثلاث والذي نفسي بيده إن كنت لحالفًا عليهن: لا ينقص مال من صدقة فتصدقوا، ولا يعفو عبد عن مظلمة إلا زاده الله بها عزًّا يوم القيامة،

---

(١) ((تيسير الكريم الرحمن)) للسعدي (ص ٨٦٨).
(٢) ((تفسير القرآن العظيم)) (٧/٢١٠).
(٣) رواه مسلم (٢٥٨٨).
(٤) ((إكمال المعلم)) (٨/٢٨).

ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر))[١].

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ((ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم))[٢].

قال المناوي في قوله: (واغفروا يغفر لكم): (لأنَّه سبحانه وتعالى يحب أسمائه وصفاته التي منها: الرحمة، والعفو، ويحب من خلقه من تخلق بها)[٣].

- وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: ((جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! كم نعفو عن الخادم؟ فصمت! ثم أعاد عليه الكلام، فصمت! فلما كان في الثالثة، قال: (اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة))[٤].

أقوال السلف والعلماء في العفو والصفح:

- عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه (أنه قام يوم مات المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة، حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن، ثم قال: استعفوا

---

(١) رواه أحمد (١/١٩٣) (١٦٧٤)، والبزار (٣/٢٤٤)، وأبو يعلى (٢/١٥٩). قال ابن كثير في ((جامع المسانيد والسنن)) (٧٠٨٠): له شاهد في الصحيحين، وصححه الشوكاني في ((نيل الأوطار)) (٧/١٧٧)، وصححه لغيره الألباني في ((صحيح الترغيب)) (٢٤٦٢).

(٢) رواه أحمد (٢/٢١٩) (٧٠٤١)، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (٣٨٠)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (١٣/٦٥١). وجوَّد إسناده المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٣/٢٨٦)، والسخاوي في ((البلدانيات)) (٤٩)، وصحح إسناده أحمد شاكر في ((عمدة التفسير)) (١/٤١٨)، وصححه الألباني في ((صحيح الترغيب والترهيب)) (٢٤٦٥).

(٣) ((فيض القدير)) (١/٤٧٤).

(٤) رواه أبو داود (٥١٦٤)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (١٣/٣٢٦)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (٨/١٨) (١٥٧٩٩). وسكت عنه أبو داود، وحسنه ابن حجر في ((تخريج المشكاة)) (٣/٣٤١)، وصحح إسناده الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٤٨٨).

لأميركم، فإنه كان يحب العفو. ثم قال: أما بعد، فإني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، قلت: أبايعك على الإسلام، فشرط علي (والنصح لكل مسلم). فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم، ثم استغفر ونزل)[١].

- (وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعامًا فابتاع، ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت، فقال: لقد جلست وإنها لمعي، فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها، اللهم افعل به كذا، فقال عبد الله: اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه)[٢].

- وقيل لأبي الدرداء: مَن أعزُّ الناس؟ فقال: (الذين يعفون إذا قدروا؛ فاعفوا يعزكم الله تعالى)[٣].

- وقال الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما: (لو أنَّ رجلًا شتَمني في أذني هذه، واعتذر في أُذني الأخرَى، لقبِلتُ عذرَه)[٤].

- وقال معاوية رضي الله عنه: (عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال)[٥].

- وعن وهب بن كيسان قال سمعت عبد الله بن الزبير يقول على المنبر: (﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] قال: والله

(١) رواه البخاري (٥٨).
(٢) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/١٨٤).
(٣) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٦/٥٨).
(٤) ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (١/٣٠٢).
(٥) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/١٨٤).

ما أمر بها أن تؤخذ إلا من أخلاق الناس، والله لآخذنها منهم ما صحبتهم)[١].

- وأُتي عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث، فقال لرجاء بن حيوة: (ماذا ترى؟). قال:(إن الله -تعالى- قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو، فعفا عنهم)[٢].

- وقال مالك بن دينار: (أتينا منزل الحكم بن أيوب ليلًا وهو على البصرة أمير، وجاء الحسن، وهو خائف فدخلنا معه عليه، فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج[٣]، فذكر الحسن قصة يوسف -عليه السلام- وما صنع به إخوته، فقال: باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم، وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس، ثم قال: أيها الأمير، ماذا صنع الله به؟ أداله منهم، ورفع ذكره، وأعلى كلمته، وجعله على خزائن الأرض، فماذا صنع يوسف حين أكمل الله له أمره وجمع له أهله؟ قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]، يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه، قال الحكم: فأنا أقول لا تثريب عليكم اليوم، ولو لم أجد إلا ثوبي هذا لواريتكم تحته)[٤].

- وعن عمر بن عبد العزيز قال: (أحبُّ الأمور إلى الله ثلاثة: العفو في القدرة، والقصد في الجدة، والرفق في العبادة، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة)[٥].

---

(١) رواه البخاري في ((الأدب المفرد)) (٢٤٤)، وهناد في ((الزهد)) (٥٩٦/٢). وصححه الألباني في ((صحيح الأدب المفرد)) (٢٤٤).

(٢) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (٢٦٠).

(٣) الفراريج جمع فروج: وهو الفتي من ولد الدجاج. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٣٨٣/١٠).

(٤) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (١٨٤/٣).

(٥) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦٧).

- وعن سعيد بن المسيب قال: (ما من شيء إلا والله يحب أن يعفى عنه، ما لم يكن حدًّا)[١].

- وعن الحسن، قال: (أفضل أخلاق المؤمن العفو)[٢].

- وقال الفضيل بن عياض: (إذا أتاك رجلٌ يشكو إليك رجلًا، فقل: يا أخي، اعفُ عنه؛ فإنَّ العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمِل قلبي العفوَ، ولكن أنتصر كما أمرَني الله عزَّ وجل فقل له: إن كنتَ تُحسِن أن تنتَصِر، وإلا فارجع إلى باب العفو؛ فإنه باب واسع، فإنَّه مَن عفَا وأصلحَ فأجره على الله، وصاحِبُ العفو ينام على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يقلِّب الأمور؛ لأن الفُتُوَّة هي العفوُ عن الإخوان)[٣].

- وقال إبراهيم النخعي: (كان المؤمنون يكرهون أن يستذلوا، وكانوا إذا قدروا عفوا)[٤].

- وعن أيوب قال:(لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عنهم)[٥].

فوائد العفو والصفح:

١- في العفو رحمة بالمسيء، وتقدير لجانب ضعفه البشري، وامتثال لأمر الله، وطلب لعفوه وغفرانه[٦].

---

(١) رواه مالك (٢/٨٤٣) (٤).

(٢) ذكره ابن مفلح في ((الآداب الشرعية)) (١/٧١) وعزاه للخلال.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في ((تفسيره)) (١٠/٣٢٨٠)، وأبو نعيم في ((الحلية)) (٨/١١٢).

(٤) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٧/٢١٠).

(٥) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦٧).

(٦) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (١/٤٠٨).

٢- في العفو توثيق للروابط الاجتماعية التي تتعرض إلى الوهن والانفصام بسبب إساءة بعضهم إلى بعض، وجناية بعضهم على بعض[١].

٣- العفو والصفح عن الآخرين سبب لنيل مرضات الله سبحانه وتعالى.

٤- العفو والصفح سبب للتقوى قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

٥- العفو والصفح من صفات المتقين، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

٦- من يعفو ويصفح عن الناس يشعر بالراحة النفسية.

٧- بالعفو تُنال العزة، قال صلى الله عليه وسلم: ((.. وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا..))[٢].

٨- العفو والصفح سبيل إلى الألفة والمودة بين أفراد المجتمع.

٩- في العفو والصفح الطمأنينة، والسكينة، وشرف النفس.

١٠- بالعفو تكتسب الرفعة والمحبة عند الله وعند الناس.

نماذج في العفو:

• نماذج من عفوه صلى الله عليه وسلم:

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ القمة، والدرجة العالية في العفو

---

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (١/٤٠٨).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨).

والصفح، كما هو شأنه في كلِّ خلُقٍ من الأخلاق الكريمة، فكان عفوه يشمل الأعداء فضلًا عن الأصدقاء.

(وكان صلى الله عليه وسلم أجمل الناس صفحًا، يتلقى من قومه الأذى المؤلم فيعرض عن تلويمهم، أو تعنيفهم، أو مقابلتهم بمثل عملهم، ثم يعود إلى دعوتهم ونصحهم كأنما لم يلقَ منهم شيئًا.

وفي تأديب الله لرسوله بهذا الأدب أنزل الله عليه في المرحلة المكية قوله: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٥-٨٦] ثم أنزل عليه قوله: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩] فكان يقابل أذى أهل الشرك بالصفح الجميل، وهو الصفح الذي لا يكون مقرونًا بغضب أو كبر أو تذمر من المواقف المؤلمة، وكان كما أدَّبه الله تعالى. ثم كان يقابل أذاهم بالصفح الجميل، ويعرض قائلًا: سلام.

وفي العهد المدني لقي الرسول صلى الله عليه وسلم من يهود المدينة أنواعًا من الخيانة فأنزل الله عليه قوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، فصبر الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم وعفا وصفح، حتى جاء الإذن الرباني بإجلائهم، ومعاقبة ناقضي العهد منهم)(١).

- فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب، كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى.

---

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (١/٤٣٢).

قال الله -تعالى-: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ الآية [آل عمران: ١٨٦] وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية [البقرة: ١٠٩]، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول في العفو عنهم ما أمر الله به...))[١].

- وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ رضي اللهُ عنهما واصفًا النبي صلى الله عليه وسلم: ((...ولا يَدفَعُ السيئةَ بالسيئةِ ، ولكن يعفو ويَصفَحُ))[٢].

- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ((أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارًا، عليه إكاف[٣]، تحته قطيفة فدكية. وأردف وراءه أسامة، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج. وذاك قبل وقعة بدر. حتى مرَّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فيهم عبد الله بن أبي، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة[٤] الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه،ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل؛ فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء، لا أحسن من هذا، إن كان ما تقول حقًّا، فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا؛ فإنا نحب ذلك، قال: فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود، حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم

(١) رواه البخاري (٤٥٦٦).
(٢) رواه البخاري (٤٨٣٨).
(٣) الإكاف: يكون للبعير والحمار والبغل. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٩/٣٦٤).
(٤) العجاج: الغبار. انظر: ((المصدر السابق)) (٢/٣١٩).

يخفِّضهم[١]، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة. فقال: (أي سعد، ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب؟ يريد عبد الله بن أبي، قال كذا وكذا قال: اعف عنه يا رسول الله، واصفح، فو الله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة[٢] أن يتوِّجوه، فيعصبوه بالعصابة[٣] فلما ردَّ الله ذلك بالحقِّ الذي أعطاكه، شرق[٤] بذلك، فذلك فعل به ما رأيت. فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم))[٥].

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا قط بيده، ولا امرأةً ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله عزَّ وجلَّ))[٦].

- وعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- ((أنَّه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل نجد، فلما قفل[٧] رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه، فأدركتهم القائلة[٨] في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله صلى الله

---

(١) يخفضهم: أي يسكنهم ويهون عليهم الأمر. انظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٥٤/٢).

(٢) البحيرة: مدينة سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهي تصغير البحرة. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٤٤/٤).

(٣) فيعصبوه بالعصابة يعني: يرئسوه عليهم ويسودوه وسمي الرئيس معصبا لما يعصب برأسه من الأمور. انظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (٢٣٢/٨).

(٤) الشرق: الشجا والغصة. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٧٧/١٠).

(٥) رواه مسلم (١٧٩٨).

(٦) رواه مسلم (٢٣٢٨).

(٧) القفول: الرجوع من السفر. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٥٦٠/١١).

(٨) القائلة: الظهيرة. انظر: ((المصدر السابق)) (٥٧٧/١١).

عليه وسلم، وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة، وعلَّق بها سيفه ونمنا نومة، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا، وإذا عنده أعرابي.فقال: إن هذا اخترط[١] عليَّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتًا[٢]، فقال: من يمنعك مني؟. فقلت: الله. ثلاثًا، ولم يعاقبه وجلس))[٣].

موقفه صلى الله عليه وسلم مع أهل ثقيف:

فعن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال: ((لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يَالِيلَ بن عبد كُلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إنَّ الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من

(١) اخترط السيف: استله من غمده. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٢٤١/١٩).

(٢) صلت: الصلت: البارز المستوي. وسيف صلت: منجرد. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٥٣/٢).

(٣) رواه البخاري (٢٩١٠).

أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا))[١].

موقفه صلى الله عليه وسلم مع أهل مكة:

((لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل البيت، فصلى بين الساريتين[٢]، ثم وضع يديه على عضادتي[٣] الباب، فقال: لا إله إلا الله وحده ماذا تقولون، وماذا تظنون؟ قالوا: نقول خيرًا، ونظن خيرًا: أخ كريم، وابن أخ، وقد قدرت، قال: فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢]))[٤].

موقفه صلى الله عليه وسلم مع عكرمة بن أبي جهل:

عن عروة بن الزبير قال: ((قال عكرمة بن أبي جهل: لما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا محمد، إنَّ هذه أخبرتني أنَّك أمَّنتني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت آمن. فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنت عبد الله ورسوله، وأنت أبرُّ الناس، وأصدق الناس، وأوفى الناس، قال عكرمة: أقول ذلك وإني لمطأطئ رأسي استحياء منه، ثم قلت: يا رسول الله، استغفر لي كلَّ عداوة عاديتكها، أو موكب أوضعت[٥] فيه أريد فيه إظهار الشرك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اغفر

---

(١) رواه مسلم (١٧٩٥).

(٢) السارية: الأسطوانة، وقيل: أسطوانة من حجارة أو آجر. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٤/٣٨٣).

(٣) عضادتا الباب هما خشبتاه من جانبيه. انظر: ((شرح مسلم)) للنووي (٣/٧٠).

(٤) رواه الأزرقي في ((أخبار مكة)) (٢/١٢١)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٥٣/٧٣)، وابن زنجويه في ((الأموال)) (١/٢٩٣) من حديث عطاء والحسن وطاوس رحمهم الله.

(٥) الإيضاع: السير بين القوم. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٨/٣٩٨).

لعكرمة كلَّ عداوة عادانيها، أو موكب أوضع فيه يريد أن يصدَّ عن سبيلك. قلت: يا رسول الله، مرني بخير ما تعلم فأُعلِّمُه، قال: قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وتجاهد في سبيله، ثم قال عكرمة: أما والله يا رسول الله، لا أدع نفقة كنت أنفقتها في الصدِّ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قاتلت قتالًا في الصدِّ عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله. ثم اجتهد في القتال حتى قتل يوم أجنادين شهيدًا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه))(١).

- **نماذج من عفو الصحابة رضي الله عنهم:**

عفو أبي بكر رضي الله عنه:

- عفوه عن مسطح بن أثاثة: و((كان مسطح بن أثاثة ممن تكلم في الإفك، فلما أنزل الله براءة عائشة، قال أبو بكر الصديق: -وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره- والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾ [النور: ٢٢] إلى قوله ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال والله لا أنزعها منه أبدًا))(٢).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أن رجلًا شتم أبا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم جالس، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعجب، ويتبسم، فلما

---

(١) رواه الحاكم (٣/٢٧٠)، والطبري في ((تاريخه)) (١١/٥٠٢)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٤١/٦٤).
(٢) رواه البخاري (٢٦٦١).

أكثر ردَّ عليه بعض قوله؛ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم، وقام فلحقه أبو بكر، فقال: يا رسول الله، كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت، قال: إنه كان معك مَلَك يردُّ عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان؛ فلم أكن لأقعد مع الشيطان. ثم قال: يا أبا بكر، ثلاث كلُّهنَّ حقٌّ: ما من عبد ظلم بمظلمة، فيغضي عنها لله عزَّ وجلَّ إلا أعزَّ الله بها نصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله عزَّ وجلَّ بها قلة))[1].

عفو عمر رضي الله عنه:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولًا كانوا، أو شبانًا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحرُّ لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي[2] يا ابن الخطاب، فوالله، ما تعطينا الجزل[3]، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر، حتى همَّ أن يوقع به، فقال له الحرُّ: يا أمير

---

(١) رواه أحمد (٢/٤٣٦) (٩٦٢٢)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (١٠/٤٠٠) (٢١٠٩٦): قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/١٩٢): رجاله رجال الصحيح. وقال البوصيري في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (٥/٤٧٨): رواته ثقات. وجوَّد إسناده الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٥/٢٧١).

(٢) هي: كلمة تقال في الاستزادة، وبمعنى التهديد. انظر: ((عمدة القاري)) لبدر الدين العيني (٢٥/٣١).

(٣) الحطب اليابس، وقيل الغليظ، وقيل ما عظم من الحطب ويبس ثم كثر استعماله حتى صار كل ما كثر جزلًا. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/١٠٩).

المؤمنين، إنَّ الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وإنَّ هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافًا عند كتاب الله))[١].

- **نماذج من عفو السلف:**

عفو مصعب بن الزبير:

- حكي عن مصعب بن الزبير أنه لما ولي العراق، جلس يوما لعطاء الجند، وأمر مناديه فنادى، أين عمرو بن جرموز؟ وهو الذي قتل أباه الزبير، فقيل له: (أيها الأمير، إنه قد تباعد في الأرض. فقال: أوَ يظن الجاهل أني أقيده[٢] بأبي عبد الله؟ فليظهر آمنًا ليأخذ عطاءه موفرًا)[٣].

- **نماذج من عفو الملوك:**

عفو سليمان بن عبد الملك:

- (غضب سليمان بن عبد الملك على خالد القسري، فلما أدخل عليه قال: يا أمير المؤمنين، إنَّ القدرة تذهب الحفيظة[٤]، وإنك تجلُّ عن العقوبة، فإن تعفُ فأهلٌ لذلك أنت، وإن تعاقب فأهل لذلك أنا، فعفا عنه)[٥].

- (واحتال يزيد بن راشد في الدخول على سليمان متنكرًا بعد أن ولي الخلافة، فقعد في السماط[٦] وكان سليمان قد نذر أنه إن أفضت إليه الخلافة

---

(١) رواه البخاري (٤٦٤٢).
(٢) القود: قتل النفس بالنفس. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٣٧٢/٣).
(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (٣١١).
(٤) الحفيظة: الحمية والغضب. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٢١٩/٢٠).
(٥) ((وفيات الأعيان)) لابن خلكان (٤٢٥/٢).
(٦) السماط: الجماعة من الناس والنحل. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٣٢٥/٧).

قطع لسانه؛ لأنَّه كان ممن دعا إلى خلع سليمان، والبيعة لعبد العزيز، فقال: يا أمير المؤمنين، كن كنبي الله أيوب عليه السلام، ابتُلي فصبر، وأُعطي فشكر، وقدر فغفر. قال: ومن أنت؟ قال: يزيد بن راشد، فعفا عنه)[١].

عفو أبي جعفر المنصور:

- عن مبارك بن فضالة قال: (كنا عند المنصور فدعا برجل ودعا بالسيف، فقال المبارك: يا أمير المؤمنين، سمعت الحسين يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ((إذا كان يوم القيامة، قام مناد من عند الله ينادي: ليقم الذين أجرهم على الله، فلا يقوم إلا من عفا)) فقال المنصور: خلوا سبيله)[٢].

- وعن الأصمعي قال: (أُتي المنصور برجل يعاقبه فقال: يا أمير المؤمنين، الانتقام عدل، والتجاوز فضل، ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس[٣] النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين. فعفا عنه)[٤].

عفو المأمون:

- (أُتي المأمون برجل يريد أن يقتله، وعلي بن موسى الرضا جالس فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال: أقول: إنَّ الله تعالى لا يزيدك بحسن العفو إلا عزًّا. فعفا عنه . وكان المأمون مؤثرًا للعفو كأنه غريزة له؛ وهو الذي يقول: لقد حُبِّب إليَّ العفو حتى إني أظنُّ أني لا أثاب عليه.

- وأحضر إلى المأمون رجل قد أذنب، فقال له المأمون: أنت الذي فعلت

---

(١) ((وفيات الأعيان)) لابن خلكان (٢/٤٢٥).
(٢) ((تاريخ الخلفاء)) للسيوطي (ص ٢٢٩).
(٣) الوكس: النقص. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٦/٢٥٧).
(٤) ((تاريخ الخلفاء)) للسيوطي (ص ٢٢٩).

كذا وكذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أنا الذي أسرف على نفسه واتكل على عفوك؛ فعفا عنه.

- قال: ولما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي أمر بإدخاله عليه، فلما مثل بين يديه، قال: وليُّ الثأر محكمٌ في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، والقدرة تذهب الحفيظة، ومن مدَّ له الاعتذار في الأمل هجمت به الأناة على التلف، وقد جعل الله كلَّ ذنب دون عفوك، فإن صفحت فبكرمك، وإن أخذت فبحقِّك. قال المأمون: إني شاورت أبا إسحاق والعباس في قتلك فأشارا عليَّ به؛ قال: أما أن يكونا قد نصحاك في عظم قدر الملك، ولما جرت عليه السياسة فقد فعلا، ولكن أبيت أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله، ثم استعبر باكيًا؛ فقال له المأمون: ما يبكيك؟ قال: جذلًا[١] إذ كان ذنبي إلى من هذه صفته. ثم قال: إنه وإن كان جرمي بلغ سفك دمي فحلم أمير المؤمنين وفضله يبلغاني عفوه، ولي بعد هذا شفعة الإقرار بالذنب، وحرمة الأب بعد الأب. قال المأمون: لو لم يكن في حقِّ نسبك ما يبلغ الصفح عن جرمك لبلغك إليه حسن تنصُّلك)[٢].

قالوا عن العفو:

- قال الأحنف: (إيَّاك وحمية الأوغاد[٣]. قيل: وما هي؟ قال: يرون العفو مغرمًا، والتحمل مغنمًا.

---

(١) جذلاً: أي فرحا. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/١٠٧).

(٢) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٦/٥٥).

(٣) الوغد: الخفيف الأحمق الضعيف العقل الرذل الدنيء. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٣/٤٦٤).

- وقيل لبعضهم: هل لك في الإنصاف، أو ما هو خير من الإنصاف؟ فقال: وما هو خير من الإنصاف؟ فقال: العفو .

- وقيل: العفو زكاة النفس. وقيل: لذة العفو أطيب من لذة التشفي؛ لأنَّ لذة العفو يلحقها حمد العاقبة، ولذة التشفي يلحقها ذم الندم .

- وقيل للإسكندر: أي شيء أنت أسرُّ به مما ملكت؟ فقال: مكافأة من أحسن إلي بأكثر من إحسانه، وعفوي عمن أساء بعد قدرتي عليه .

- وقالوا: العفو يزين حالات من قدر، كما يزين الحلي قبيحات الصور)[١].

- وقال أبو حاتم: (الواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود الإساءة عليه من العالم بأسرهم؛ رجاء عفو الله جلَّ وعلا عن جناياته التي ارتكبها في سالف أيامه؛ لأنَّ صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء، وصاحب العقاب، وإن انتقم، كان إلى الندم أقرب، فأمَّا من له أخ يوده، فإنَّه يحتمل عنه الدهر كله زلاته)[٢].

- وقال بعض البلغاء: (ما ذبَّ عن الأعراض كالصفح والإعراض)[٣].

- وقال بعضهم: (أحسن المكارم عفو المقتدر، وجود المفتقر)[٤].

- وقال أبو حاتم: (الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة، إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن

---

(١) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٦/٥٤).
(٢) ((روضة العقلاء)) (ص ١٦٨).
(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (٣٠٩).
(٤) ((المصدر السابق)) (٣١١).

من الإحسان، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشد من الاستعمال بمثلها)[١].

- وقال أيضًا: (من أراد الثواب الجزيل، واسترهان الود الأصيل، وتوقع الذكر الجميل، فليتحمل من ورود ثقل الردى، ويتجرع مرارة مخالفة الهوى، باستعمال السنة التي ذكرناها في الصلة عند القطع، والإعطاء عند المنع، والحلم عند الجهل، والعفو عند الظلم؛ لأنَّه من أفضل أخلاق أهل الدين والدنيا)[٢].

- (وقيل للمهلب بن أبي صُفرة: ما تقول في العفو والعقوبة؟ قال: هما بمنزلة الجود والبخل، فتمسك بأيهما شئت)[٣].

ومن الأمثال:

- قولهم: ملكت فأسجح. أي: ظفرت فأحسن[٤].

- وقولهم: إن المقدرة تذهب الحفيظة[٥].

- وقولهم: إذا ارجحنَّ شاصيًا فارفع يدًا. أي: إذا رأيته قد خضع واستكان فاكفف عنه[٦].

العفو والصفح في واحة الشعر:

قال الشافعي:

لما عفوتُ ولم أحقِدْ على أحدٍ أرحتُ نفسي مِن همِّ العداواتِ

(١) ((روضة العقلاء)) (ص ١٦٦).
(٢) ((المصدر السابق)).
(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٣٤٩).
(٤) ((الأمثال)) لابن سلام (ص ١٥٤).
(٥) ((مجمع الأمثال)) للميداني (١/١٤).
(٦) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٣/١٠٤).

إني أُحيِّي عدُوِّي عندَ رؤيتِه لأدفعَ الشرَّ عني بالتحياتِ
وأُظهرُ البشْرَ للإنسانِ أُبغضُه كأنما قد حشَى قلبي محباتِ
النَّاسُ داءٌ، وداءُ النَّاسِ قُربُهمُ وفي اعتزالِهمُ قطعُ الموداتِ(١)

وقال أيضًا:

قالوا سكتَّ وقد خُوصِمتَ قلتُ لهم إنَّ الجواب لِبابِ الشرِّ مفتاحُ
فالعفو عن جاهل أو أحمق أدب نعم وفيه لصونِ العِرض إصلاحُ
إن الأُسود لتخشَى وهي صامتة والكلب يُخشَى ويُرمَى وهو نبَّاحُ(٢)

وقال منصور بن محمد الكريزي:

سأُلزمُ نفسي الصفحَ عن كلِّ مذنب وإن كثرت منه إليَّ الجرائمُ
فما الناسُ إلَّا واحدٌ مِن ثلاثةٍ شريفٌ ومشروفٌ ومثلي مُقاومُ
فأمَّا الذي فوقي فأعرفُ فضلَه وأتبعُ فيه الحقَّ والحقُّ لازمُ
وأما الذي دوني فإن قال صنتُ عن إجابتِه عِرضي وإن لام لائمُ
وأما الذي مثلي فإن زلَّ أو هفا تفضَّلتُ إنَّ الحلم للفضلِ حاكمُ(٣)

وقال أبو الفتح البستي:

خذِ العفوَ وأْمُرْ بعرفٍ كما أمرت وأعرضْ عن الجاهلين
ولِنْ في الكلامِ لكلِّ الأنامِ فمستحسَنٌ من ذوي الجاه لينُ(٤)

---

(١) ((ديوان الإمام الشافعي)) (ص ٣٦).
(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٤٢).
(٣) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦٦).
(٤) ((زهر الآداب وثمر الألباب)) لأبي إسحاق القيرواني (٢/٤٢٧).

وقال آخر:

إذا كنتُ لا أعفو عن الذنبِ مِن أخٍ وقلتُ أُكافيه فأينَ التفاضلُ

فإن أقطعِ الإخوانَ في كلِّ عسرةٍ بقيتُ وحيدًا ليس لي من أُواصلُ

ولكنني أُغضي جُفوني على القذَى وأصفحُ عمَّا رابني وأُجاملُ[1]



(١) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٣/ ٨٠).



عُلُو الهِمَّة



عُلُو الهِمَّة

معنى علو الهمَّة لغةً واصطلاحًا:

• معنى العلو لغةً:

العلوُّ مصدر من علا الشيءُ عُلُوًّا فهو عَليٌّ وعَلِيَ وتَعَلَّى،... ويقال: عَلا فلانٌ الجبل إذا رَقِيَه وعَلا فلان فلانًا إذا قَهَره، والعَليُّ الرَّفيعُ، وتَعالَى تَرَفَّع، وأصل هذه المادة يدلُّ على السموِّ والارتفاع(١).

• معنى الهمَّة لغةً:

الهِمَّةُ: ما هَمَّ به من أمر ليفعله، تقول: إنه لعظيمُ الهَمِّ، وإِنه لَصغيرُ الهِمَّة، وإِنه لَبَعيدُ الهِمَّةِ والهَمَّةِ بالفتح(٢).

وقال ابن القيم في تعريف الهمة: (والهمة فعلة من الهمِّ، وهو مبدأ الإرادة، ولكن خصوها بنهاية الإرادة، فالهمُّ مبدؤها، والهمَّة نهايتها)(٣).

• معنى علو الهمَّة اصطلاحًا:

الهمة في الاصطلاح هي: (توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق؛ لحصول الكمال له أو لغيره)(٤).

وأما علو الهمة فهو (استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية)(٥).

---

(١) ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١١٢/٤)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٨٣/١٥).
(٢) ((المصدر السابق)) (٨٣/١٥).
(٣) ((مدارج السالكين)) (٥/٣).
(٤) ((التعريفات)) للجرجاني (ص ٢٥٧).
(٥) ((تهذيب الأخلاق)) المنسوب للجاحظ (ص ٢٨).

وقال المناوي: (عظم الهمة عدم المبالاة بسعادة الدنيا وشقاوتها)[١].

وقال الراغب الأصفهاني: (والكبير الهمة على الإطلاق: هو من لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه، فلا يصير عبد رعاية بطنه، وفرجه، بل يجتهد أن يتخصص بمكارم الشريعة)[٢].

الفرق بين الهمَّة والهمِّ:

(الهمَّة: اتساع الهم وبعد موقعه، ولهذا يمدح بها الإنسان، فيقال: فلان ذو همة وذو عزيمة. وأما قولهم: فلان بعيد الهمة وكبير العزيمة، فلأنَّ بعض الهمم يكون أبعد من بعض وأكبر من بعض، وحقيقة ذلك أنَّه يهتمُّ بالأمور الكبار.

والهمُّ: هو الفكر في إزالة المكروه، واجتلاب المحبوب، ومنه يقال: أهمُّ بحاجتي)[٣].

الترغيب في علو الهمة:

أولًا: في القرآن الكريم

(علو الهمة خلق رفيع وغاية نبيلة، تتعشقه النفوس الكريمة، وتهفو إليه الفطر القويمة، وعلو الهمة من الأسس الأخلاقية الفاضلة، وإليه يرجع مجموعة من الظواهر الخلقية، كالجد في الأمور، والترفع عن الصغائر والدنايا، وكالطموح إلى المعالي)[٤]. والإسلام يحثُّ على هذا الخلق النبيل، وقد وردت آيات من القرآن الكريم، تدل على ذلك، ومنها:

---

(١) ((التوقيف)) (ص ٥١٧).
(٢) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) (ص ٢٩١).
(٣) ((الفروق)) لأبي هلال العسكري (ص ٥٥٨).
(٤) ((الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها)) لمحمد الحمد (ص ٨١).

- قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

ففي هذه الآية (ندب الله عباده إلى المبادرة إلى فعْل الخيرات، والمسارعة إلى نيْل القُرُبات)[١]، وهو أمر من الله بالهمة العالية.

- وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

فهذه الآية فيها ثناء (على أصحاب الهمم العالية، وفي طليعتهم الأنبياء والمرسلون وفي مقدمتهم أولو العزم من الرسل، وعلى رأسهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم... وقد تجلت همتهم العالية في مثابرتهم، وجهادهم، ودعوتهم إلى الله عزَّ وجلَّ، كما أوضحه الله عزَّ وجلَّ في قصص الأنبياء: كنوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)[٢].

- وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين بوصف الرجال، الذين هم أصحاب الهمم العالية، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه، و(وفوا به، وأتموه، وأكملوه، فبذلوا مهجهم[٣] في مرضاته، وسبلوا أنفسهم في طاعته. ﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ أي: إرادته ومطلوبه، وما عليه من الحقِّ، فقتل في سبيل الله، أو مات مؤديًا لحقه، لم ينقصه شيئًا. ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ﴾ تكميل ما عليه، فهو شارع في قضاء

---

(١) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٢/١١٧).

(٢) ((علو الهمة)) لمحمد إسماعيل المقدم (ص ١٢٨).

(٣) مهجهم: المهجة خالص دم الإنسان الذي إذا خرج خرجت روحه وهو دم القلب. ((الفروق اللغوية)) لأبي هلال العسكري (١٠٣).

ما عليه، ووفاء نحبه ولما يكمله، وهو في رجاء تكميله، ساع في ذلك، مجدٌّ)[١].

- وقال سبحانه: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧].

فهؤلاء الرجال هم أصحاب الهمم العالية، (ليسوا ممن يؤثر على ربه دنيا ذات لذات، ولا تجارة ومكاسب، مشغلة عنه، ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾ وهذا يشمل كلَّ تكسب يقصد به العوض، فيكون قوله: ﴿وَلَا بَيْعٌ﴾ من باب عطف الخاص على العام، لكثرة الاشتغال بالبيع على غيره، فهؤلاء الرجال، وإن اتجروا، وباعوا، واشتروا، فإن ذلك، لا محذور فيه. لكنه لا تلهيهم تلك، بأن يقدموها ويؤثروها على ﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه)[٢].

- وقال الله سبحانه وتعالى بعد أن ذكر عددًا من الأنبياء ومواقفهم، ودعوتهم لقومهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ثانيًا: في السنة النبوية

- عن حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله))[٣].

قال ابن بطال: (فيه ندب إلى التعفف عن المسألة، وحض على معالي

---

(١) ((علو الهمة)) لمحمد إسماعيل المقدم (ص ١٢٨).

(٢) ((تيسير الكريم الرحمن)) للسعدي (ص ٥٦٩).

(٣) رواه البخاري (١٤٢٧) ومسلم (١٠٣٤). واللفظ للبخاري.

الأمور، وترك دنيئها، والله يحب معالي الأمور)[١].

- وقال صلى الله عليه وسلم: ((احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز))[٢].

(وعامة نصوص الترغيب والترهيب في الوحيين الشريفين؛ إنما ترمي إلى توليد قوة دافعة تحرك قلب المؤمن، وتوجهه إلى إقامة الطاعات، وتجنب المعاصي والمخالفات، وإلى بعث الهمة وتحريكها واستحثاثها للتنافس في الخيرات، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر)[٣] ومن ذلك:

- قوله صلى الله عليه وسلم: ((لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا. ولو يعلمون ما في التهجير[٤] لاستبقوا إليه. ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا[٥].))[٦].

- وقوله صلى الله عليه وسلم: ((يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارق، ورتل، كما كنت ترتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها))[٧].

---

(١) ((شرح صحيح البخاري)) لابن بطال (٣/٤٣١).
(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤).
(٣) ((تيسير الكريم الرحمن)) للسعدي (ص ٦٦٠).
(٤) التهجير : السير فى الهاجرة، وهي شدة الحر، ويدخل فى معنى التهجير المسارعة إلى الصلوات كلها قبل دخول أوقاتها. ((شرح صحيح البخاري)) لابن بطال (٢/٢٨٠).
(٥) الحبو: أن يمشي على يديه وركبتيه، أو استه. وحبا البعير إذا برك ثم زحف من الإعياء. وحبا الصبي: إذا زحف على استه. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (١/٣٣٦).
(٦) رواه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٧) رواه أبو داود (١٤٦٤)، الترمذي (٢٩١٤)، وأحمد (٢/١٩٢) (٦٧٩٩) من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما. قال الترمذي: حسن صحيح، وصحح إسناده أحمد شاكر في ((المسند)) (١١/٥٥)، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٨١٢٢)، وحسنه الوادعي في ((الصحيح المسند)) (٧٩٨).

أقوال السلف والعلماء في علو الهمة:

- روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (لا تصغرنَّ همتكم؛ فإني لم أرَ أقعد عن المكرمات من صغر الهمم)[١].

- وقال مالك: (عليك بمعالي الأمور وكرائمها، واتقِ رذائلها وما سفَّ منها؛ فإنَّ الله تعالى يحبُّ معالي الأمور، ويكره سفسافها)[٢].

- وعن دكين الراجز قال: (أتيت عمر بن عبد العزيز بعد ما استُخلف أستنجز منه وعدًا كان وعدنيه، وهو والي المدينة، فقال لي: يا دكين، إن لي نفسًا توَّاقة[٣]، لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلمَّا نلتها تاقت إلى الخلافة، فلما نلتها تاقت إلى الجنة)[٤].

- وقال ابن الجوزي: (من علامة كمال العقل علوُّ الهمة، والراضي بالدون دني)[٥].

- وقال ابن القيم: (فمن علت همته، وخشعت نفسه، اتصف بكلِّ خلق جميل. ومن دنت همته، وطغت نفسه، اتصف بكلِّ خلق رذيل)[٦].

- وقال أيضًا: (الهمة العلية لا تزال حائمة حول ثلاثة أشياء: تعرُّف لصفة من الصفات العليا، تزداد بمعرفتها محبة، وإرادة، وملاحظة لمنة تزداد بملاحظتها

---

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص٣١٩).

(٢) ((ترتيب المدارك)) للقاضي عياض (٢/٦٥).

(٣) توَّاقة: من تاق إلى الشيء توقًا وتؤوقًا، أي: اشتاق، فهو تائق وتوَّاق. انظر: ((شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم)) (٢/٧٨٣)، لنشوان اليمني.

(٤) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (٣٣٤).

(٥) ((صيد الخاطر)) (٢٨).

(٦) ((الفوائد)) (ص ٩٧).

شكرًا، أو إطاعة؛ وتذكُّر لذنب تزداد بتذكره توبة، وخشية، فإذا تعلقت الهمة بسوى هذه الثلاثة، جالت[1] في أودية الوساوس والخطرات، من عشق الدنيا نظرت إلى قدرها عنده، فصيَّرته من خدمها وعبيدها وأذلَّته، ومن أعرض عنها نظرت إلى كبر قدره فخدمته، وذلَّت له. إنما يقطع السفر ويصل المسافر بلزوم الجادة، وسير الليل، فإذا حاد المسافر عن الطريق، ونام الليل كلَّه، فمتى يصل إلى مقصده؟)[2].

- وقال أيضًا: (العلم والعمل توأمان أمهما علو الهمة)[3].

- وقال أيضًا: (لا تكون الروح الصافية إلا في بدن معتدل، ولا الهمة العالية إلا في نفس نفيسة)[4].

درجات علو الهمة:

قَسَّم الهروي درجات علو الهمة على ثلاث:

١- (الدرجة الأولى: همة تصون القلب عن وحشة الرغبة في الفاني، وتحمله على الرغبة في الباقي، وتصفيه من كدر[5] التواني)[6].

يقول ابن القيم: (الفاني الدنيا وما عليها. أي: يزهد القلب فيها وفي أهلها. وسمى الرغبة فيها وحشة؛ لأنها وأهلها توحش قلوب الراغبين فيها، وقلوب الزاهدين فيها.

---

(١) جالت: جال يجول جولة إذا دار. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٣١٧/١).
(٢) ((الفوائد)) لابن القيم (ص ٩٩).
(٣) ((بدائع الفوائد)) لابن القيم (ص ٧٤٧).
(٤) ((المصدر السابق)) (ص ٧٥٠).
(٥) الكَدَرُ: نَقِيضُ الصَّفَاءِ. ((لسان العرب)) لابن منظور (١٣٤/٥).
(٦) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٦/٣).

أما الراغبون فيها: فأرواحهم وقلوبهم في وحشة من أجسامهم. إذ فاتها ما خلقت له. فهي في وحشة لفواته.

وأما الزاهدون فيها: فإنهم يرونها موحشة لهم. لأنها تحول بينهم وبين مطلوبهم ومحبوبهم. ولا شيء أوحش عند القلب، مما يحول بينه وبين مطلوبه ومحبوبه. ولذلك كان من نازع الناس أموالهم، وطلبها منهم أوحش شيء إليهم وأبغضه.

وأيضًا: فالزاهدون فيها: إنما ينظرون إليها بالبصائر. والراغبون ينظرون إليها بالأبصار، فيستوحش الزاهد مما يأنس به الراغب. كما قيل:

وإذا أفاق القلب واندمل[1] الهوى   رأت القلوب ولم تر الأبصار

وكذلك هذه الهمة تحمله على الرغبة في الباقي لذاته. وهو الحق سبحانه. والباقي بإبقائه: هو الدار الآخرة.

وتصفيه من كدر التواني. أي: تخلصه وتمحصه من أوساخ الفتور والتواني، الذي هو سبب الإضاعة والتفريط)[2].

٢- قال الهروي: (الدرجة الثانية: همة تورث أنفة من المبالاة بالعلل، والنزول على العمل، والثقة بالأمل)[3].

يقول ابن القيم: (العلل هاهنا: هي علل الأعمال من رؤيتها، أو رؤية ثمراتها وإرادتها. ونحو ذلك. فإنها عندهم علل.

فصاحب هذه الهمة: يأنف على همته، وقلبه من أن يبالي بالعلل؛ فإنَّ همته فوق ذلك. فمبالاته بها، وفكرته فيها نزول من الهمة.

(١) اندمل:تماثل وصلح. ((لسان العرب)) لابن منظور (٢٥٠/١١).
(٢) ((مدارج السالكين)) (٦/٣).
(٣) ((المصدر السابق)) (٧/٣).

وعدم هذه المبالاة: إما لأنَّ العلل لم تحصل له؛ لأنَّ علوَّ همته حال بينه وبينها. فلا يبالي بما لم يحصل له؛ وإما لأنَّ همته وسعت مطلوبه، وعلوه يأتي على تلك العلل، ويستأصلها. فإنَّه إذا علَّق همته بما هو أعلى منها، تضمنتها الهمة العالية؛ فاندرج حكمها في حكم الهمة العالية، وهذا موضع غريب عزيز جدًّا. وما أدري قصده الشيخ أو لا؟

وأما أنفته من النزول على العمل: فكلام يحتاج إلى تقييد وتبيين. وهو أن العالي الهمة مطلبه فوق مطلب العمال والعباد، وأعلى منه، فهو يأنف أن ينزل من سماء مطلبه العالي، إلى مجرد العمل والعبادة، دون السفر بالقلب إلى الله؛ ليحصل له ويفوز به؛ فإنَّه طالب لربه تعالى طلبًا تامًّا بكلِّ معنى واعتبار في عمله، وعبادته ومناجاته، ونومه ويقظته، وحركته وسكونه، وعزلته وخلطته، وسائر أحواله؛ فقد انصبغ قلبه بالتوجه إلى الله تعالى أيما صبغة.

وهذا الأمر إنما يكون لأهل المحبة الصادقة؛ فهم لا يقنعون بمجرد رسوم الأعمال، ولا بالاقتصار على الطلب حال العمل فقط.

وأما أنفته من الثقة بالأمل: فإنَّ الثقة توجب الفتور والتواني، وصاحب هذه الهمة: ليس من أهل ذلك، كيف؟ وهو طائر لا سائر)[١].

٣- قال الهروي: (الدرجة الثالثة: همة تتصاعد عن الأحوال والمعاملات. وتزري بالأعواض والدرجات. وتنحو عن النعوت نحو الذات)[٢].

يقول ابن القيم: (أي: هذه الهمة أعلى من أن يتعلق صاحبها بالأحوال

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٣/٧).
(٢) ((المصدر السابق)) (٣/٨).

التي هي آثار الأعمال والواردات، أو يتعلق بالمعاملات، وليس المراد تعطيلها. بل القيام بها مع عدم الالتفات إليها، والتعلُّق بها.

ووجه صعود هذه المهمة عن هذا: ما ذكره من قوله: تزري بالأعواض والدرجات، وتنحو عن النعوت نحو الذات، أي: صاحبها لا يقف عند عوض ولا درجة؛ فإنَّ ذلك نزول من همته، ومطلبه أعلى من ذلك؛ فإنَّ صاحب هذه الهمة قد قصر همته على المطلب الأعلى، الذي لا شيء أعلى منه، والأعواض والدرجات دونه، وهو يعلم أنَّه إذا حصل له فهناك كل عوض ودرجة عالية.

وأما نحوها نحو الذات، فيريد به: أنَّ صاحبها لا يقتصر على شهود الأفعال والأسماء والصفات، بل الذات الجامعة لمتفرقات الأسماء والصفات والأفعال.)[1].

صور علو الهمة:

مظاهر وصور علو الهمة كثيرة جدًّا؛ فالأعمال الجادة كلها تحتاج إلى علو الهمة، وسنتحدث عن بعض مظاهر علو الهمة وهي كالتالي:

١- علو الهمة في طلب العلم:

من مظاهر علو الهمة: الاجتهاد في طلب العلم؛ والجد والمثابرة في تحصيله وإن من أعظم ما يعين على علو الهمة في طلب العلم مطالعة ما أعده الله عزَّ وجلَّ لطالب العلم والعلماء.

قال الشوكاني في الحثِّ على علو الهمة في طلب العلم: (فإنَّ الله سبحانه قد قرن العلماء في كتابه بنفسه وملائكته فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران:١٨].

---

(١) ((مدارج السالكين)) (٣/٨).

وقصر الخشية له التي هي سبب الفوز لديه عليهم فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

وأخبر عباده بأنه يرفع علماء أمته درجات فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] وأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن العلماء ورثة الأنبياء.

وناهيك بهذه المزية الجليلة، والمنقبة النبيلة، فأكرم بنفس تطلب غاية المطالب في أشرف المكاسب، وأحبب برجل أراد من الفضائل ما لا تدانيه فضيلة، ولا تساميه منقبة، ولا تقاربه مكرمة)[١].

كذلك مطالعة أحوال السلف، وعلو همتهم في التعلم والتعليم، والقراءة والإقراء والتصنيف، والرحلة في طلب العلم، والسهر في المذاكرة، والتعرض للأخطار، ومعاناة الجوع والمرض في سبيله، والضن بالوقت أن يضيع في غير تحصيل فائدة، أو الوقوف على نكتة علمية، إلى غير ذلك من صور علو همتهم في طلب العلم .

٢- علو الهمة في الدعوة إلى الله:

من مظاهر علو الهمة: الدعوة إلى الله؛ فالمسلم يدعو إلى الله سبحانه وتعالى بما علم. قال صلى الله عليه وسلم: ((بلغوا عني ولو آية))[٢] والداعية إلى الله سبحانه وتعالى همه هداية الناس، ودعوتهم إلى الحق، فيقوم ببذل نفسه في سبيل الدعوة إلى الله، قال ابن حزم: (لا تبذل نفسك إلا فيما هو أعلى منها، وليس ذلك إلا في ذات الله عز وجل في دعاء إلى حقٍّ، وفي حماية الحريم، وفي دفع هوان لم يوجبه عليك خالقك تعالى، وفي نصر مظلوم، وباذل نفسه

---

(١) ((أدب الطلب ومنتهى الأدب)) (ص ١٢٨).

(٢) رواه البخاري (٣٤٦١).

في عرض دنيا، كبائع الياقوت بالحصى)[١]. ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته، وسلف الأمة، القدوة الحسنة، فقد بذلوا كل غال ونفيس في سبيل الدعوة إلى الله.

٣- علو الهمة في الجهاد في سبيل الله:

من مظاهر علو الهمة الاندفاع إلى الجهاد في سبيل الله؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من خير معاش الناس لهم، رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هيعة[٢]، أو فزعة[٣]، طار عليه يبتغى القتل والموت مظانه ...))[٤] والمواقف من حياة الصحابة والسلف كثيرة في بيان جهادهم في سبيل الله، وما بذلوه من تضحيات من أجل هذا الدين.

٤- علو الهمة في العبادة:

من مظاهر علو الهمة: الجد والاجتهاد في عبادة الله سبحانه وتعالى، والاستقامة على دينه و(لقد فقه سلفنا الصالحون عن الله أمره، وتدبروا في حقيقة الدنيا، ومصيرها إلى الآخرة، فاستوحشوا من فتنتها، وتجافت جنوبهم عن مضاجعها، وتناءت قلوبهم من مطامعها، وارتفعت همتهم على السفاسف، فلا تراهم إلا صوَّامين قوامين، باكين والهين، ولقد حفلت تراجمهم بأخبار زاخرة، تشير بعلو همتهم في التوبة والاستقامة، وقوة عزيمتهم في العبادة والإخبات[٥]... قال الحسن: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في

---

(١) ((مداواة النفوس)) لابن حزم (ص ١٦).

(٢) الهيعة: الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدو. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٥/٢٨٨).

(٣) الفزع: هو الذعر، والإفزاع، الإخافة، ويقال فزعه، أي أخافه. انظر: ((مختار الصحاح)) للرازي (٢٣٩).

(٤) رواه مسلم (١٨٨٩).

(٥) الإخبات: هو الخشوع. ((مختار الصحاح)) للرازي (٨٧).

دنياه فألقها في نحره. وقال وُهيب بن الورد: إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل)[١].

أسباب دنو الهمة:

١- المعاصي:

إن المعاصي أحد أسباب انحطاط الهمم، إذ كيف ينطلق الإنسان إلى المعالي وهو مكبل بالشهوات، مثقل بالذنوب، منهك القوى بالمعاصي، يقول ابن قيم الجوزية: (فالذنب يحجب الواصل، ويقطع السائر، وينكس الطالب، والقلب إنما يسير إلى الله بقوته، فإذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي ستسيره، فإذا زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعًا يبعد تداركه، فالله المستعان)[٢].

٢- الخوف والهم والحزن:

وهذه الثلاثة من الآفات التي توهن الهمة، وتضعف العزيمة، وتدفع إلى الفتور؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يستعيذ بالله منها، فيقول: ((اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال[٣].))[٤].

(فاستعاذ من ثمانية أشياء، كلُّ اثنين منها قرينان، فالهم والحزن قرينان وهما من آلام الروح ومعذباتها، والفرق بينهما أن الهم توقع الشر في المستقبل، والحزن التألم على حصول المكروه في الماضي أو فوات المحبوب، وكلاهما تألم وعذاب

---

(١) ((علو الهمة)) لمحمد إسماعيل المقدم (ص ٢٠٩).

(٢) ((الجواب الكافي)) (٧٣).

(٣) رواه البخاري (٢٨٩٣).

(٤) انظر: ((الرائد.. دروس في التربية والدعوة)) لمازن الفريح (٢٧٢/٤).

يرد على الروح فإن تعلق بالماضي سمي حزنًا، وإن تعلق بالمستقبل سمي همًّا)[١].

٣- الغفلة:

الغفلة من أسباب ضعف الهمة، فكيف يرتقي الإنسان معالي الأمور، وهو في غفلة عن مصالحه وأسباب سعادته، والغفلة والجهل قرينان، فـ(شجرة الغفلة تُسْقَى بماءِ الجهل الذي هو عدو الفضائل كلِّها.

هل علمتم أمة في جهلها ظهرت في المجد حسناءَ الرداء؟

قال عمر رضي الله عنه: الراحة للرجال غفلة.

وقال شعبة بن الحجاج: لا تقعدوا فراغًا فإنَّ الموت يطلبكم.

وسئل ابن الجوزي: أيجوز أن أفسح لنفسي في مُباح الملاهي؟ فقال: عند نفسك من الغفلة ما يكفيها)[٢].

٤- إهدار الوقت:

فالوقت هو رأس مال الإنسان، فإذا أهدره فهو في الحقيقة يضيع عمره، فيبوء بالخسران، وما أفدحها من خسارة، فينبغي تجنب (إهدار الوقت الثمين في الزيارات والسمر وفضول المباحات: قال - صلى الله عليه وسلم: ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)).

والوقت أنفس ما عُنيت بحفظه وأراه أسهلَ ما عليك يضيع

(ويقول الفضيل بن عياض: أعرف من يَعُدُّ كلامه من الجمعة إلى الجمعة.

ودخلوا على رجل من السلف، فقالوا: لعلنا شغلناك؟، قال: أصدقكم،

(١) ((بدائع الفوائد)) لابن القيم (٢/٢٠٧).

(٢) ((علو الهمة)) لمحمد إسماعيل المقدم (٣٣٧).

كنت أقرأ فتركتُ القراءة لأجلكم.

وجاء عابدٌ إلى السَّرِيِّ السَّقَطي، فرأى عنده جماعة، فقال: صِرتَ مُناخَ البطالين! ثم مضى ولم يجلس.

وقعد جماعة عند معروف الكرخي، فأطالوا، فقال: إن مَلَك الشمس لا يفتر عن سوقها، فمتى تريدون القيام؟)[1].

٥- الوهن:

(وهو كما فسره رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((حب الدنيا، وكراهية الموت))[2].

أمَّا حب الدنيا: فرأس كلِّ خطيئة كما في الحكمة المشهورة، وهو أصل التثاقل إلى الأرض، وسبب الاستئسار للشهوات، والانغماس في الترف، والتنافس على دار الغرور التي:

تفانى الرجال على حبِّها وما يحصلون على طائل

(يقول -أي ابن الجوزي- واعلم أنَّ زمان الابتلاء ضيف قِراهُ الصبر، كما قال أحمد بن حنبل: إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل، فلا تنظر إلى لذة المترفين، وتَلَمَّحْ عواقبهم، ولا تضق صدرًا بضيق المعاش، وعلل الناقة بالحدْو تسِرْ:

طاوِلْ بها الليلَ مالَ النجمُ أم جَنحَا وماطِلِ النومَ ضَنَّ الجَفْنُ أمْ سَمَحا

(١) ((علو الهمة)) لمحمد إسماعيل المقدم (٣٣٥).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٣٢٩/٢٣). من حديث ثوبان رضي الله عنه. حسن إسناده ابن باز في ((مجموع فتاوى ابن باز)) (١٠٦/٥)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٢٩٧).

فإن تَشَكَّتْ فعَلِّلْها المجَرَّةَ مِن ... ضوءِ الصباحِ وعِدْها بالرواحِ ضحَى

... وأما كراهية الموت فثمرة حب الدنيا والحرص على متاعها مع تخريب الآخرة، فيكره أن ينتقل من العمران إلى الخراب، قال الطغرائي مبينا أثر حب السلامة في الانحطاط بالهمة:

حبُّ السلامة يثني عزم صاحبه ... عن المعالي ويغري المرء بالكسل)[1]

٦- التسويف والتمني:

(وهما صفة بليد الحس، عديم المبالاة، الذي كلما همت نفسه بخير، إما يعيقها بـ (سوف) حتى يفجأه الموت، فيقول: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ [المنافقون: ١٠]، وإما يركب بها بحر التمني، وهو بحر لا ساحل له، يُدمن ركوبه مفاليس العالم، كما قيل:

إذا تمنيت بتُّ الليلَ مغتبطًا ... إن المنى رأسُ أموال المفاليس)[2]

٧- مجالسة البطالين والمثبطين:

(مجالس البطالين والقاعدين توهن العزائم وتضعف الهمم بما يعلق في القلب من أقوالهم من الشبه، وما يحصل بمجالستهم من ضياع للوقت، وإشغال بتوافه الأمور.. وكلما أردت العمل ثبطك[3] وقال: أمامك ليل طويل فارقد.)[4].

إياك إياك ومجالسة البطالين (فإن طبعك يسرق منهم، وأنت لا تدري،

(١) ((علو الهمة)) لمحمد إسماعيل المقدم (ص ٣٣٢) بتصرف.

(٢) ((المصدر السابق)) (٣٣٨).

(٣) من التثبيط: وهو التعويق والشغل عن المراد. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٢٠٧/١).

(٤) ((الرائد.. دروس في التربية والدعوة)) لمازن الفريح (٢٧٤/٤).

وليس إعداء الجليس جليسة بمقاله وفعاله فقط، بل بالنظر إليه، والنظر في الصور يورث في النفوس أخلاقًا مناسبة لخلق المنظور إليه، فإن مَن دامت رؤيته للمسرور سرَّ، أو للمحزون حزن... ومن المشاهد أن الماء والهواء يفسدان بمجاورة الجيفة فما الظن بالنفوس البشرية التي موضعها لقبول صور الأشياء خيرها وشرها؟)[1].

٨- المناهج التربوية والتعليمية الهدامة:

هذه المناهج (التي تثبط الهمم وتخنق المواهب، وتكبت الطاقات وتخرب العقول، وتنشئ الخنوع وتزرع في الأجيال ازدراء النفس، وتعمق فيه احتقار الذات والشعور بالدونية)[2].

٩- توالي الضربات وازدياد اضطهاد العاملين للإسلام:

وينتج عنه الشعور بالإحباط في نفوس الذين لا يفقهون حقيقة البلاء، وسنن الله عز وجل في خلقه، كما ينتج عنه استطالة الطريق فيضعف السير إلى الله عز وجل. وقد كان صلى الله عليه وسلم يعزي أصحابه المضطهدين في مكة بتبشيرهم بأن المستقبل للإسلام، وبأن العاقبة للمتقين[3].

فلا ينبغي أن يستولي اليأس والتشاؤم على الدعاة، فعندما يرى بعضهم (تفوق الأعداء، وتفرق الأصدقاء، والتضييق على الدعاة، وتشريدهم، والزج بهم في السجون، ونحوها من الابتلاءات، ييأسوا ويتشاءموا ويدب الوهن إلى قلوبهم؛ فتضعف هممهم، ويقعدوا عن العمل، ويفقدوا الأمل.. على الرغم من

---

(١) ((فيض القدير)) للمناوي (٥/٥٠٦).

(٢) ((علو الهمة)) لمحمد إسماعيل المقدم (٣٤١).

(٣) ((المصدر السابق)) (٣٤٣).

انتصارات الدعوة والبشائر التي تبدو في الأفق؛ ولكن يأبى بعضهم إلا النظرة المتشائمة)[١].

أسباب علو الهمة[٢]:

إن علو الهمة يحتاج إلى جهد ومجاهدة وصبر ومصابرة، وتلمس الأسباب التي توصل إليه، وسلوك الطرق التي تؤدي إليه، وفيما يلي بعض أسباب علو الهمة:

١- العلم:

العلم أحد أسباب علو الهمة، فهو يرشد من طلبه إلى مصالحه، ويدفعه إلى العمل، ويعرفه بآفات الطريق ومخاطره، ويورث صاحبه فقها بالأولويات ويعرفه بمراتب الأعمال. وكلما ازداد الإنسان من العلم النافع علت همته، وازداد عمله؛ ونماذج العلماء الصادقين الذين علت هممهم أكبر برهان على ذلك.

٢- الدعاء:

وهو سلاح المؤمن الذي يلجأ إليه إذا فترت الهمة وضعفت العزيمة، فعلى المسلم ألا يغفل هذا الباب فهو من أعظم الأسباب لتحصيل الهمة العالية، والعاجز من عجز عن الدعاء.

٣- تذكر اليوم الآخر:

فلا شك أن تذكر الموت، وفتنة القبر، وأهوال القيامة، يبعث في القلب الهمة ويوقظه من غفلته، وتبعثه من رقدته؛ وتدبر قوله عز وجل ﴿وَسَارِعُوٓاْ

---

(١) ((الرائد.. دروس في التربية والدعوة)) لمازن الفريح (٤/٢٧٤).

(٢) انظر: ((الهمة العالية)) لمحمد إبراهيم الحمد (ص ١٠١)، ((الرائد.. دروس في التربية والدعوة)) (٤/٢٦٥)، ((علو الهمة)) لمحمد إسماعيل المقدم (٣٤٤).

﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وكان صلى الله عليه وسلم يذكر أصحابه بالجنة والنار، فالحث على العمل وبعث الهمم يكون بالتذكير باليوم الآخر والجنة والنار.

٤- طبيعة الإنسان:

من الناس من جبل على علو الهمة، فلا يرضى بالدون، ولا يقنع بالقليل، ولا يلتفت إلى الصغائر.

ولهذا قيل: ذو الهمة إن حط فنفسه تأبى إلا علوًّا، كالشعلة في النار يصوبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعًا[١].

قال عمر بن عبد العزيز: إنَّ لي نفسًا تواقة؛ لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلما نلتها تاقت إلى الخلافة، فلما نلتها تاقت إلى الجنة[٢]!

٥- أثر الوالدين، ودورهما في التربية الصحيحة:

فأثر الوالدين في التربية عظيم، ودورهما في إعلاء هِمم الأولاد خطير وجسيم؛ فإذا كان الوالدان قدوة في الخير، وحرصا على تربية الأولاد، واجتهدا في تنشئتهم على كريم الخلال وحميد الخصال، مع تجنيبهم ما ينافي ذلك من مساوئ الأخلاق ومرذول الأعمال – فإن لذلك أثرًا عظيمًا في نفوس الأولاد؛ لأن الأولاد سيشبون – بإذن الله – متعشقين للبطولة، محبين لمعالي الأمور، متصفين بمكارم الأخلاق، مبغضين لسفساف الأمور، نافرين عن مساوئ الأخلاق.

(١) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة الدينوري (١/٢٣٣).
(٢) ((المصدر السابق)).

٦- النشأة في مجتمع مليء بالقمم:

فمن بواعث الهمة، أن ينشأ الصغير في مجتمع تكثر فيه النماذج المشرقة من الأبطال المجاهدين، والعلماء العاملين؛ والتي تمثل القدوة، فهذا مما يحرك همته؛ كي يقتدي بهم، ويسير على طريقهم، ومن لم يتهيأ له ذلك فليتحول عن البيئة المثبطة، الداعية إلى الكسل والخمول وإيثار الدون.

٧- وجود المربين الأفذاذ، والمعلمين القدوات:

الذين يستحضرون عظم المسؤولية، ويستشعرون ضخامة الأمانة، والذين يتسمون ببعد النظرة، وعلو الهمة، وسعة الأفق وحسن الخلق، والذين يتحلون بالحلم والعلم، والصبر والشَّجَاعَة، وكرم النفس والسماحة.

٨- مصاحبة أصحاب الهمم ومطالعة سيرهم:

فلا شك أنَّ الصحبة لها تأثير كبير، لذا من أراد تحصيل الهمة العالية فليصحب أصحاب الهمم العالية، فإنه يستفيد من أفعالهم قبل أقوالهم، ومن لم يوفق لصحبة هؤلاء فليكثر من مطالعة سيرهم، وقراءة أخبارهم فإن ذلك مما يبعث الهمة، ويدعو إلى علوها.

يقول ابن الجوزي: (فسبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب، التي قد تخلفت من المصنفات، فليكثر من المطالعة؛ فإنه يرى من علوم القوم، وعلو هممهم ما يشحذ خاطره، ويحرك عزيمته للجد، وما يخلو كتاب من فائدة...

فالله وعليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم)[1]. إلى أن قال: (فاستفدت بالنظر

(١) ((صيد الخاطر)) (٤٥٣).

فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم، وحفظهم وعباداتهم، وغرائب علومهم: ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرت أستزري ما الناس فيه، وأحتقر همم الطلاب)[1].

٩- استشعار المسؤولية:

وذلك بأن يستشعر الإنسان مسؤوليته، ويعمل ما في وسعه ومقدوره، ويحذر كل الحذر من التهرب من المسؤولية، والإلقاء باللائمة والتبعة على غيره؛ ذلك أن المسؤولية في الإسلام عامة، تشمل كل فرد من المسلمين؛ فهم جميعًا داخلون في عموم قوله صلى الله عليه وسلم: ((كلكم راع وكلم مسؤول عن رعيته))[2].

فالمسؤولية مشتركة، كل امرئ بحسبه، هذا بتعليمه وكلامه، وهذا بوعظه وإرشاده، وهذا بقوته وماله، وهذا بجاهه وتوجيهه إلى السبيل النافع وهكذا.

نماذج في علو الهمة:

- **نماذج من علو همة النبي صلى الله عليه وسلم:**

(الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة، والقدوة الرائعة، في علو الهمة والشَّجَاعَة والإقدام، وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا حمي الوطيس في الحرب[3]، كان أكثر الناس شجاعة، وأعظمهم إقدامًا، وأعلاهم همة، وقد قاد صلوات الله عليه بنفسه خلال عشر سنين سبعًا وعشرين غزاة، وكان يتمنى أن يقوم بنفسه كل البعوث التي بعثها والسرايا التي سيرها، ولكن

---

(١) ((صيد الخاطر)) لابن الجوزي (٤٥٣).

(٢) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

(٣) الوَطِيسُ: التَّنُّور وهو كناية عن شِدَّة الأمرِ واضْطِرام الحَرْب. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (١/٤٤٧).

أقعده عن ذلك أنه كان لا يجد ما يزود به جميع أصحابه للخروج معه في كل بعث، وكان أكثرهم لا تطيب نفسه أن يقعد ورسول الله قد خرج إلى الجهاد.

- روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده، لولا أن رجالًا من المسلمين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل))(١). فأية همة عالية أعلى من هذه الهمة النبوية)(٢).

- وكان صلى الله عليه وسلم القدوة في الهمة العالية في العبادة. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: ((أفلا أكون عبدًا شكورًا))(٣).

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فأطال القيام، حتى هممت بأمر سوء، قيل وما هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه(٤).

- **نماذج للصحابة في علو الهمة:**

الصحابة رضي الله عنهم قد ضربوا لنا أروع الأمثلة في الهمة العالية، سواء كان في الجهاد في سبيل الله، والتضحية في سبيل هذا الدين، أو في طلب

---

(١) رواه البخاري (٢٧٩٧).

(٢) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/٤٨٠).

(٣) رواه البخاري (٤٨٣٧) ومسلم (٢٨١٩) واللفظ للبخاري.

(٤) رواه مسلم (٧٧٣).

العلم، وغير ذلك، وكذا سار التابعون على منوالهم، وإليك بعضًا من النماذج التي تدل على علو همتهم.

علو الهمة في طلب العلم:

١- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، فقال: ((يا غلام، هل من لبن؟ قال: قلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال: فهل من شاة لم ينز عليها الفحل؟ فأتيته بشاة، فمسح ضرعها، فنزل لبن، فحلبه في إناء، فشرب، وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: اقلص فقلص، قال: ثم أتيته بعد هذا، فقلت: يا رسول الله، علمني من هذا القول، قال: فمسح رأسي، وقال: يرحمك الله، فإنك غليم معلم))[١].

- وعنه أيضًا قال: (والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعًا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم)[٢]، قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون، فما سمعت رادًّا يقول غير ذلك.

٢- أبو هريرة رضي الله عنه:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث،

---

(١) رواه أحمد (١/٣٧٩) (٣٥٩٨)، وابن حبان (١٥/٥٣٦) (٧٠٦١)، والطبراني في ((الكبير)) (٩/٧٩).

(٢) رواه البخاري (٥٠٠٠).

والله الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه؟ وإنَّ إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرأ مسكينًا، ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون، وقال النبي صلى الله عليه وسلم يومًا: ((لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئًا أبدًا. فبسطت نمرة ليس علي ثوب غيرها، حتى قضى النبي صلى الله عليه وسلم مقالته، ثم جمعتها إلى صدري، فوالذي بعثه بالحق، ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا، والله لولا آيتان في كتاب الله، ما حدَّثتكم شيئًا أبدًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٥٩] إلى قوله ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٠]))[1].

- وعنه أيضًا قال: إنه لم يكن يشغلني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غرس الودي[2]، ولا صفق بالأسواق إني إنما كنت أطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة يعلمنيها، وأكلة يطعمنيها، فقال له ابن عمر: أنت يا أبا هريرة كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعلمنا بحديثه[3].

٣- جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه:

- عن عبد الله بن محمد بن عقيل، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاشتريت بعيرًا، ثم شددت عليه رحلي، فسرت إليه شهرًا، حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله ابن أنيس، فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب، فقال ابن عبد الله؟ قلت:

(١) رواه البخاري (٢٣٥٠).

(٢) الودي: هو صغار النخل واحدتها ودية. ((غريب الحديث)) لأبي عبيد (٢٠٢/٤).
الصفق: الضرب باليد عند البيع. ((الفائق في غريب الحديث)) للزمخشري (٥١/٤).

(٣) رواه البخاري (١١٨)، ومسلم (٢٤٩٢)،وأحمد (٢/٢) (٤٤٥٣) واللفظ له.

نعم، فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني، واعتنقته، فقلت: حديثًا بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص، فخشيت أن تموت، أو أموت قبل أن أسمعه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((يحشر الناس يوم القيامة - أو قال: العباد - عراة غرلًا بُهمًا. قال: قلنا: وما بهما؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار، أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حقٌّ، حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق، حتى أقصه منه، حتى اللطمة قال: قلنا: كيف وإنا إنما نأتي الله عزَّ وجلَّ عراة غرلًا بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات))[(١)].

٤- عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

- عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم؟ قال: فتركت ذاك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقُّ أن آتيك، قال: فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى

(١) رواه أحمد (٣/٤٩٥) (١٦٠٨٥)، والحاكم (٢/٤٧٥)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٨/٢٦٥). وحسن إسناده المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٤/٢١٨)، والهيثمي في ((المجمع)) (١٠/٣٥٤)، وحسنه لغيره الألباني في ((صحيح الترغيب)) (٣٦٠٨).

رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني)[١].

علو الهمة في الجهاد:

١- أنس بن النضر رضي الله عنه:

- عن أنس رضي الله عنه قال: ((غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين؛ لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرينَّ الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء. يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة وربِّ النضر، إني أجد ريحها من دون أحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع[٢]، قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثَّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظنُّ أنَّ هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] إلى آخر الآية[٣].

---

(١) رواه الحاكم (١/١٨٨)، وابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٢/٣٦٧). قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري. ووافقه الذهبي. وقال البوصيري في ((إتحاف الخيرة)) (١/٢١٢): إسناده رجاله ثقات.

(٢) قال ابن حجر: (قال ابن بطال: يريد ما استطعت أن أصف ما صنع أنس من كثرة ما أغنى وأبلى في المشركين. قلت: وقع عند يزيد بن هارون عن حميد، فقلت: أنا معك فلم أستطع أن أصنع ما صنع، وظاهره أنه نفى استطاعة إقدامه الذي صدر منه حتى وقع له ما وقع من الصبر على تلك الأهوال، بحيث وجد في جسده ما يزيد على الثمانين من طعنة وضربة ورمية، فاعترف سعد بأنه لم يستطع أن يقدم إقدامه، ولا يصنع صنيعه، وهذا أولى مما تأوله ابن بطال) ((فتح الباري)) (٦/٢٣).

(٣) رواه البخاري (٢٨٠٥).

٢- سعد بن خيثمة رضي الله عنهما:

- عن سليمان بن بلال رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه جميعًا الخروج معه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فأمر أن يخرج أحدهما، فاستهما، فقال خيثمة ابن الحارث لابنه سعد رضي الله عنهما: إنه لابد لأحدنا من أن يقيم، فأقم مع نسائك، فقال سعد: لو كان غير الجنة لآثرتك به، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا، فاستهما، فخرج سهم سعد، فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر، فقتله عمرو بن عبد ودٍّ ... الحديث[١].

٣- عمير بن أبي وقاص رضي الله عنه:

- عن سعد رضي الله عنه قال: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي؟، قال: إني أخاف أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرني فيردني، وأنا أحبُّ الخروج لعلَّ الله أن يرزقني الشهادة. قال: فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فردَّه، فبكى فأجازه، فكان سعد رضي الله عنه يقول: فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة[٢].

- **نماذج للسلف في علو الهمة:**

علو الهمة في طلب العلم:

سفيان الثوري:

- عن أبي شهاب الحناط قال: بعثت أخت سفيان الثوري معي بجراب إلى

---

(١) رواه الحاكم (٣/٢٠٩).

(٢) رواه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٣/١٤٩)، وذكره الحافظ في ((الإصابة)) (٤/٦٠٣).

سفيان وهو بمكة فيه كعك وخُشْكِنانْج[١]، فقدمت مكة فسألت عنه فقيل لي: إنَّه ربما قعد دبر الكعبة مما يلي باب الحناطين، قال: فأتيته هناك، وكان لي صديقًا، فوجدته مستلقيًا، فسلَّمت عليه فلم يسائلني تلك المسائلة، ولم يسلِّم علي كما كنت أعرف منه، فقلت له: إن أختك بعثت إليك معي بجراب فيه كعك وخشكنانج، قال: فعجل به علي، واستوى جالسًا.

فقلت: يا أبا عبد الله، أتيتك وأنا صديقك. فسلَّمت عليك، فلم تردَّ عليَّ ذاك الرد، فلما أخبرتك أني أتيتك بجراب كعك لا يساوي شيئًا جلست وكلمتني، فقال: يا أبا شهاب، لا تلمني؛ فإنَّ هذه لي ثلاثة أيام لم أذق فيها ذواقًا. فعذرته[٢].

وعن سفيان بن عيينة، قال: جاع سفيان الثوري جوعًا شديدًا، مكث ثلاثة أيام لا يأكل شيئًا، فمرَّ بدار فيها عرس، فدعته نفسه إلى أن يدخل فعصمه الله، ومضى إلى منزل ابنته، فأتته بقرص فأكله، وشرب ماءً فتجشى[٣] ثم قال:

سيكفيك عما أغلق الباب دونه ... وضن به الأقوام ملح وجردق[٤]

وتشرب من ماء فرات وتغتدي ... تعارض أصحاب الثريد الملبق[٥]

تجشى إذا ما هم تجشوا كأنما ... ظللت بأنواع الخبيص[٦] تفتق

---

(١) خَشْكَنانِج: نوع من الخبز يعمل بالزبد والسكر واللوز والفستق وهو على شكل الهلال. ((تكملة المعاجم العربية)) لرينهارت بيتر آن دُوزِي (٤/ ١٠٢).

(٢) ((الطبقات الكبرى)) لابن سعد (٦/٣٥٠).

(٣) التجشؤ: تنفس المعدة عند الامتلاء. ((لسان العرب)) لابن منظور (١/ ٤٨).

(٤) الجردقة: الرغيف، فارسية معربة. ((المصدر السابق)) (١٠/٣٥).

(٥) الثريد الملبق: الشديد التثريد المُلَيَّنّ بالدَسم. ((المصدر السابق)) (١٠/٣٢٦).

(٦) الخبيص: المعمول من التمر والسمن، حلواء معروف يخبص بعضه في بعض. ((تاج العروس)) للزبيدي (١٧/٥٤٢).

القاضي شريك بن عبد الله النخعي:

- عن يزيد بن يحيى قال: (مرَّ شريك القاضي بالمستنير بن عمرو النخعي، فجلس إليه فقال: يا أبا عبد الله، من أدَّبك؟ قال: أدَّبتني نفسي والله، ولدت ببخارى من أرض خراسان، فحملني ابن عمٍّ لنا حتى طرحني عند بني عم لي بنهر صرصر، فكنت أجلس إلى معلم لهم تعلَّق بقلبي يعلِّم القرآن؛ فجئت إلى شيخهم فقلت: يا عماه، الذي كنت تجري عليَّ ها هنا أجره علي بالكوفة أعرف بها السنة والجماعة وقومي، ففعل؛ قال: فكنت بالكوفة أضرب اللبن وأبيعه؛ فأشتري دفاتر وطروسًا، فأكتب فيها العلم والحديث، ثم طلب الفقه فقلت: ما نرى؟ فقال المستنير بن عمرو لولده: قد سمعتم قول ابن عمكم وقد أكثرت عليكم، فلا أراكم تفلحون فيه، فليؤدِّب كلُّ رجل نفسه، ثم من أحسن فلها، ومن أساء فعليها)[1].

- وعن عمر بن الهياج بن سعيد: قال: (كنت من صحابة شريك، فأتيته يومًا وهو في منزله باكرًا، فخرج إلي في فرو ليس تحته قميص، عليه كساء. فقلت له: قد أضحت عن مجلس الحكم، فقال: غسلت ثيابي أمس فلم تجف، فأنا أنتظر جفوفها، اجلس. فجلست فجعلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير إذن مواليه، فقال: ما عندك فيه؟ ما تقول فيه؟...)[2].

• نماذج للعلماء المتقدمين في علو الهمة:

أبو الفرج ابن الجوزي:

يصف ابن الجوزي علو همته في طلب العلم وهو يخاطب ابنه فيقول:

---

(١) ((أخبار القضاة)) لوكيع (١٥٠/٣).

(٢) ((تاريخ بغداد)) للخطيب البغدادي (٢٨٨/٩).

(وانظر يا بني إلى نفسك عند الحدود، فتلمَّح كيف حِفظُكَ لها؟ فإنه من راعى رُوعي، ومن أهملَ تُرِك... فإني أذكر نفسي ولي همةٌ عالية، وأنا في المكتب ولي نحو من ست سنين، وأنا قرينُ الصبيان الكبار قد رُزِقتُ عقلًا وافرًا في الصغر يزيدُ على عقلِ الشيوخ، فما أذكر أني لعبتُ في طريقٍ معَ صبيٍّ قط، ولا ضحِكتُ ضحكًا جارحًا، حتى إني كنتُ ولي سبعُ سنين أو نحوُها أحضرُ رحبةَ الجامع، ولا أتخيرُ حلقةَ مشعبذٍ، بل أطلب المحدث، فيتحدث بالسند الطويل، فأحفظُ جميعَ ما أسمع، وأرجع إلى البيت فأكتبه.

ولقد وُفِّقَ لي شيخنا أبو الفضل ابن ناصر رحمه الله، فكان يحملني إلى الأشياخ، وأسمعني (المسند) وغيره من الكتب الكبار، وأنا لا أعلم ما يُراد مني، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت، فناولني ثبتها، ولازمته إلى أن توفي رحمه الله، فأدركتُ به معرفة الحديث والنقل.

ولقد كان الصبيان ينزلون دجلة، ويتفرجون على الجسر، وأنا في زمن الصغر آخذ جزءًا، وأقعد حُجزةً من الناس إلى جانب الرَّقة فأتشاغلُ بالعلم)[1].

ثم قال: (ولم أقنع بفنٍّ واحد من العلم، بل كنت أسمع الفقه والوعظ والحديث وأتبع الزهاد. ثم قرأت اللغة ولم أترك أحدًا ممن قد انزوى أو يعظ، ولا غريبًا يقدم إلا وأحضره وأتخير الفضائل... ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث، فينقطع نفَسي من العَدْوِ لئلا أُسبَق، وكنت أصبح وليس لي ما آكل، وأمسي وليس لي شيء، وما أذلَّني الله لمخلوق، ولكنَّه ساق رزقي

(١) ((لفتة الكبد في نصيحة الولد)) لابن الجوزي (ص١٠).

لصيانة عِرضي، ولو شرحتُ أحوالي لطال الشرح)[١].

يحيى بن شرف النووي:

كان النووي عالي الهمة في طلب العلم منذ صغره، فقد ذكر ابن داود العطار عن ياسين بن يوسف المراكشي قال: (رأيت الشيخ محيي الدين، وهو ابن عشر سنين بنوى، والصبيان يُكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم، ويبكي، لإكراههم، ويقرأ القرآن في هذه الحالة، فوقع في قلبي محبته، وجعله أبوه في دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، قال: فأتيت الذي يقرئه القرآن، فوصيته به، وقلت له: هذا الصبي يُرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم، وينتفع الناس به، فقال لي: أمنجم أنت؟ فقلت: لا، وإنما أنطقني الله بذلك، فذكر ذلك لوالده، فحرص عليه، إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام)[٢].

• نماذج للعلماء المعاصرين في علو الهمة:

محمد الأمين الشنقيطي:

محمد الأمين الشنقيطي صاحب (أضواء البيان) (حفظ القرآن في بيت أخواله وعمره عشر سنوات، وتعلم رسم المصحف العثماني عن ابن خاله وقرأ عليه التجويد في مقرأ نافع برواية ورش، وقالون من رواية أبي نشيط، وعمره ست عشرة سنة... وقد صور الشيخ شدة انشغاله في شأن طلب العلم في شبابه، بقوله رحمه الله: ومما قلت في شأن طلب العلم، وقد كنت في أخريات

(١) ((لفتة الكبد في نصيحة الولد)) لابن الجوزي - بتصرف (ص ١١).
(٢) ((طبقات الشافعية الكبرى)) للسبكي (٨/٣٩٦-٣٩٧).

زمني في الاشتغال بطلب العلم دائم الاشتغال به عن التزويج؛ لأنه ربما عاق عنه، وكان إذ ذاك بعض البنات ممن يصلح لمثلي يرغب في زواجي ويطمع فيه، فلما طال اشتغالي بطلب العلم عن ذلك المنوال، أيست مني، فتزوجت ببعض الأغنياء، فقال لي بعض الأصدقاء: إن لم تتزوج الآن من تصلح لك؛ تزوجت عنك ذوات الحسب والجمال، ولم تجد من يصلح لمثلك. يريد أن يُعجلني عن طلب العلم، فقلت في ذلك هذه الأبيات:

دعاني الناصحون إلى النكاح غداة تزوجت بيض الملاح
فقالوا لي تزوج ذات دلٍّ خلوب اللحظ جائلة الوشاح[1]
ضحوكًا عن مؤشرة رقاق تمج الراح بالماء القراح[2]
كأن لحاظها رشقات نبل تذيق القلب آلام الجراح
ولا عجب إذا كانت لحاظ لبيضاء المحاجر[3] كالرماح
فكم قتلت كميا ذا دلاص[4] ضعيفات الجفون بلا سلاح
فقلت لهم دعوني إن قلبي من الغيِّ[5] الصُّراح اليوم صاح
ولي شغل بأبكار عذارى كأن وجوهها غرر الصحاح
أبيت مفكرًا فيها فتضحي لفهم الفدم خافضة الجناح)[6]

(١) يقال وِشاحٌ جائِلٌ: أَي سَلِسٌ. ((تاج العروس)) للزبيدي (٢٨/٢٥٣).
(٢) والماء القراح: الماء الذي لم يخالطه شيء يطيب به. ((لسان العرب)) لابن منظور (٢/ ٥٦١).
(٣) محاجر: جمع محجر وهو من العين: ما دار بها، وبدا من البرقع، أو ما يظهر من نقابها. انظر: ((القاموس المحيط)) للفيروزآبادي (ص ٣٧٢).
(٤) ذا دلاص: ذا درع لينة. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٧/٣٧).
(٥) الغي: الضلال والخيبة. ((المصدر السابق)) (١٥/١٤٠).
(٦) ((صلاح الأمة في علو الهمة)) لسيد العفاني (١/٥٧٦).

محمد ناصر الدين الألباني:

كان الألباني همته عالية، وشغفه بالعلم ليس له حدود في عصر وصف بـ(عصر الفتن والغوايا وخساسة الهمم، عصر الزهد في العلم، والقصور في طلبه)[١]. فقيض الله لهذه الأمة عالما (بكَّر في طلبه للعلم ودوَّنه، وصبر على تلقيه صبرًا طويلًا، وحرَّض شباب الأمة على طلبه، ودلَّهم على مصادره ومظانه)[٢]. فاهتم بعلم الحديث وأصبح شغله الشاغل (حتى كان يغلق محله ويذهب إلى المكتبة الظاهرية، ويبقى فيها اثنتي عشرة ساعة، لا يفتر عن المطالعة والتعليق والتحقيق، إلا أثناء فترات الصلاة، وكان يتناول طعامه البسيط في المكتبة في كثير من الأحيان فيها... ولهذا قدرته إدارة المكتبة، فخصصت له غرفة خاصة به؛ ليقوم فيها مع بعض أمهات المصادر بأبحاثه العلمية المفيدة، فكان يدخل قبل الموظفين صباحًا، وفي بعض الأحيان كان من عادة الموظفين الانصراف إلى بيوتهم ظهرًا ثم لا يعودون؛ ولكن الشيخ يبقى في المكتبة ما شاء الله له البقاء فربما يصلي العشاء ثم ينصرف. وإنَّ كلَّ من رآه في المكتبة يعرف مدى اجتهاده وحرصه على الاستفادة من وقته... وكان يجيب عن بعض الأسئلة التي توجه إليه، وهو ينظر في الكتاب، دون أن يرفع بصره إلى محدثه، بأوجز عبارة تؤدي إلى الغرض...)[٣].

(ويقول محمد بن إبراهيم الشيباني: الشيخ لم تسنح له الفرصة ليكتب قصة حياته بنفسه؛ لانشغاله بطلب العلم والتنقل في فنونه، وإلا لأصبحت

---

(١) ((حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه)) لمحمد الشيباني (١/٢٧).
(٢) ((المصدر السابق)).
(٣) ((المصدر السابق)) (١/٥٢).

قصته مؤثرة حزينة مبكية، وقد قال لي يومًا: لو كان عندي فسحة من الوقت، لكتبت ما لم تسمع به من القصص.

ومن شدة العنت والفقر الذي عاشه الشيخ، أنه كان لا يملك قيمة ورقة يشتريها ليسودها بما مَنَّ الله تعالى عليه من علم فيها، فكان يطوف في الشوارع والأزقة[١] يبحث عن الأوراق الساقطة فيها من هنا وهناك؛ ليكتب على ظهرها)[٢].

علامات عالي الهمة[٣]:

هذه بعض العلامات على صاحب الهمة العالية، نذكرها مختصرة:

١- الزهد في الدنيا.

٢- المسارعة في الخيرات والتنافس في الصالحات.

٣- التطلع إلى الكمال والترفع عن النقص.

٤- الترفع عن محقرات الأمور وصغائرها ونشدان معالي الأمور وكمالاتها.

٥- الأخذ بالعزائم.

٦- الاستدراك على ما فات.

٧- أداء الواجبات وتحمل المسؤوليات.

٨- الاهتمام بواقع الأمة والسعي لإصلاحه.

٩- حسن إدارة الأوقات.

---

(١) أَزِقَّة: سِكّة أو طريق ضيِّق نافذ أو غير نافذ. ((معجم اللغة العربية المعاصرة)) (٢/٩٨٨).

(٢) ((صلاح الأمة في علو الهمة)) لسيد العفاني (١/٥٩٠).

(٣) انظر: ((الأخلاق الإسلامية وأسسها)) لعبد الرحمن الميداني (٢/٤٨٠-٥٠٨)، ((الرائد.. دروس في التربية والدعوة)) لمازن الفريح (٤/٢٦١-٢٦٥).

يا عالي الهمة، انتبه[١]!!

١- صاحب الهمّة تحلِّق به همته دائمًا، فتأمره بإنجاز كثير من الأعمال المتداخلة في وقت واحد، فليطعها بقدر، ولا يستبعد ما تأمره به، وفي الوقت نفسه لا يقوم به كلَّه، بل يأخذ منه بقدر ما يعرف من إسعاف همته له بالقيام به.

٢- صاحب الهمَّة العالية معرض لنصائح تُثْنيه عن همته، وتحاول أن تذكره دائمًا بأنه ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٤]، وأن صاحب الصنعتين كاذب والثالثة سارق، وهكذا، فالحصيف لا يلتفت لهذه النصائح إلا بقدر محدود.

٣- صاحب الهمَّة معرض لسهام العين والحسد، فعليه بالأذكار المأثورة؛ ليدرأ عن نفسه ما قد يصيبه من سهام القدر على يد الحساد.

٤- صاحب الهمَّة قد تعتريه فَتْرة وضعف قليل لما يراه من تدنِّي همم غالب الخلق، فلا يحزن لأجل هذه الفترة، وليوطِّن نفسه على الإحسان، وعلو الهمَّة مهما ضعف أو تخاذل مَن حوله، وأيًّا كان سبب الفترة التي تعتريه فهي أمر طبيعيٌّ يعتري العاملين والسالكين، وليتذكر حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((لكل عمل شِرَّة، ولكل شِرَّة فَتْرة))[٢].

٥- أهل الهمَّة العالية قد يكونون مفرِّطين في بعض الأمور التي قد لا يرون

(١) انظر: ((الهمة طريق إلى القمة)) لمحمد بن حسن الشريف (ص ٦٧).
(٢) رواه أحمد (٢/٢١٠) (٦٩٥٨)، وابن حبان (١/١٨٧) (١١)، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٢١٥٢)، والوادعي في ((الصَّحيح المسند)) (٨١٠) على شرط الشيخين، وصحَّح إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (١١/١٥٩).

فيها تعلقًا مباشرًا بموضوع هممهم، وذلك مثل بعض حقوق الأهل والأقارب، فينبغي على من وقع في هذا المحذور أن يلتفت إلى إصلاحه، ولو بالقدر الذي يُبعد عنه سهام اللائمين.

٦- قد تؤدي الهمَّة العالية بصاحبها إلى أن يتحمَّس تحمسًا اندفاعيًّا، فيستعجل ويرتكب من الأخطاء ما كان يمكن تلافيه بقليل من التعقل، وحساب العواقب، وعلى من وقع في مثل هذا أن يعرف السنن الكونية، وأنَّ الأمر لا يحسم بين عشية وضحاها.

٧- صاحب الهمَّة العالية لا بدَّ له من المداومة على الأعمال التي تدوم ولا تنقطع، وليتذكر صاحب الهمَّة العالية أن أحبَّ الأعمال إلى الله ((أدومها وإن قل))[1]، فهمة متوسطة العلو تدوم خير من همة عظيمة متقطعة.

علو الهمة في واحة الشعر:

قال علي رضي الله عنه:

إذا أظْمَأتْك أكفُّ الرِّجالِ ... كفَتْك القناعةُ شِبعًا وريًّا

فكنْ رُجلًا رِجلُه في الثَّرَى[2] ... وهامةُ هِمَّتِه في الثُّريَّا[3]

وقال أيضًا:

ومحترسٍ من نفسِه خوفَ ذلةٍ ... تكونُ عليه حجةٌ هي ماهيَا

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٦٤٦٥)، ومسلم (٧٨٢). من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) الثَّرَى: التُّرَابُ النَّدِيُّ. ((مختار الصحاح)) للرازي (ص ٤٩).

(٣) ((الكشكول)) للعاملي (٢/٢٦٨)، ((صيد الأفكار)) لحسين محمد المهدي (٢/٣٣٠). والثريا: النجم المعروف، وهو تصغير ثروى. ((النهاية في غريب الحديث)) لابن الأثير (١/٢١٠).

فقَلَّصَ بُرْدَيهِ وأفضَى بقلبِهِ إلى البِرِّ والتقوى فنالَ الأمانيا
وجانب أسبابَ السفاهةِ والخَنا[١] عفافًا وتنزيهًا فأصبحَ عاليا
وصانَ عن الفحشاءِ نفسًا كريمةً أبتْ همةً إلا العُلَى والمعاليا
تراهُ إذا ما طاشَ ذو الجهلِ والصِّبا[٢] حليمًا وقورًا ضائنَ[٣] النفسِ هاديا
له حِلْمُ كهلٍ في صرامةِ حازمٍ وفي العينِ إن أبصرتَ أبصرتَ ساهيا
يروقُ صفاء الماءِ منه بوجهه فأصبحَ منه الماءُ في الوجهِ صافيا
ومن فضلِه يرعَى ذِمامًا لجارهِ ويحفظُ منه العهد إذ ظلَّ راعيا
صَبورًا على صَرْفِ الليالي[٤] [ورزئها] كَتومًا لأسرارِ الضميرِ مُداريا
له هِمَّةٌ تعلو على كُلِّ همةٍ كما قد علا البَدرُ النجومَ الدراريا[٥]

وقال المتنبي:

لولا المشقةُ ساد النَّاسُ كلُّهمُ الجُودُ يُفقرُ والإقْدامُ قتَّالُ[٦]

وله أيضًا:

وإذا كانت النفوسُ كبارًا تعِبتْ في مُرادِها الأجسامُ[٧]

---

(١) الخنا: الفحش في القول. ((النهاية في غريب الحديث)) لابن الأثير (٢/٨٦).
(٢) الصبا: من الصبوة: جهلة الفتوة واللهو. ((لسان العرب)) لابن منظور (١٤/٤٤٩).
(٣) ضائن: لين. ((المصدر السابق)) (١٣/٢٥٢).
(٤) تواليها وتخالفها. ((المعجم الوسيط)) (١/٥١٣).
(٥) ((مجمع الحكم والأمثال)) لأحمد قبش (١٦٥). والدراريا: جمع دري: وهو الثاقب المضيء. ((لسان العرب)) لابن منظور (٤/٢٨٢).
(٦) ((ديوان أبي الطيب المتنبي)) (ص ٤٩٠).
(٧) ((المصدر السابق)) (ص ٢٦١).

وقال أيضًا:

ولم أرَ في عيوبِ النَّاسِ شيئًا كنقصِ القادرين على التَّمامِ[1]

وقال ابن هانئ الأندلسي:

ولم أجِد الإنسانَ إلا ابن سعيه فمن كان أسعَى كان بالمجدِ أجدرا

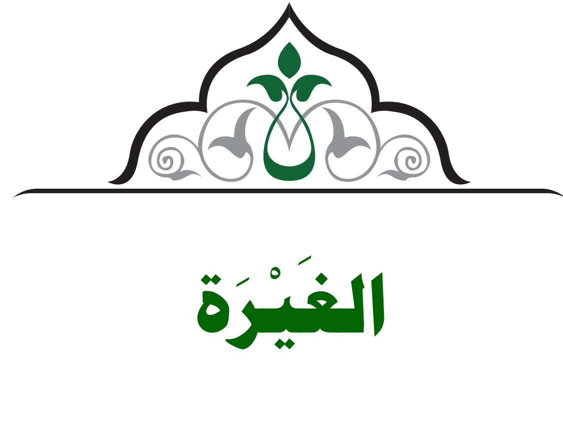
وبالهمةِ العلياءِ يرقَى إلى العُلا فمن كان أرقَى هِمَّةً كان أظهرا

ولم يتأخرْ مَن يريدُ تقدمًا ولم يتقدمْ مَن يريدُ تأخرا[2]



(١) ((ديوان أبي الطيب المتنبي)) (ص ٤٨٣).

(٢) ((مجمع الحكم والأمثال)) لأحمد قبش (٢١٧).



الغَيْرَة



الغَيْرة

معنى الغَيْرة لغةً واصطلاحًا:

• معنى الغَيْرة لغةً:

الغَيْرة بالفتح المصدر من قولك: غار الرجل على أَهْلِه والمرأَة على بَعْلها تَغار غَيْرة وغَيْرًا وغارًا وغِيارًا والغَيْرة هي الحَمِيَّة والأَنَفَة[١].

• معنى الغَيْرة اصطلاحًا:

الغَيْرة: كراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو حقه[٢].

- وقال الراغب الأصفهاني: (الغَيْرة ثوران الغضب حماية على أكرم الحرم، وأكثر ما تراعى في النساء)[٣].

الترغيب في الغيرة:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله تعالى يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه))[٤].

(معناه: أن الله يغار إذا انتهكت محارمه، وليس انتهاك المحارم هو غيرة الله؛ لأن انتهاك المحارم فعل العبد، ووقوع ذلك من المؤمن أعظم من وقوعه من غيره. وغيرة الله تعالى من جنس صفاته التي يختص بها، فهي ليست مماثلة لغيرة المخلوق، بل هي صفة تليق بعظمته، مثل الغضب، والرضا، ونحو ذلك

(١) انظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٣/٤٠١)، ((مختار الصحاح)) للرازي (ص ٢٣٢). و((لسان العرب)) لابن منظور (٥/٣٤).

(٢) ((الكليات)) لأبي البقاء الكفوي (ص ٦٧١). وبنحوه قال الجرجاني: (الغَيْرة كراهة شركة الغير في حقِّه) ((التعريفات)) (ص ١٦٣).

(٣) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) (ص ٣٤٧).

(٤) رواه البخاري (٥٢٢٣).

من خصائصه التي لا يشاركه الخلق فيها)[١].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((المؤمن يغار، والله أشد غيرًا))[٢].

- وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن من الغَيْرة ما يحب الله -عز وجل- ومنها ما يبغض الله -عز وجل- ومن الخيلاء ما يحب الله -عز وجل- ومنها ما يبغض الله -عز وجل- فأما الغَيْرة التي يحب الله -عز وجل- فالغَيْرة في الريبة. وأما الغَيْرة التي يبغض الله -عز وجل- فالغَيْرة في غير ريبة والاختيال الذي يحب الله -عز وجل- اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة. والاختيال الذي يبغض الله -عزَّ وجلَّ- الخيلاء في الباطل))[٣].

قال الشوكاني: (فالغَيْرة في الريبة: نحو أن يغتار الرجل على محارمه إذا رأى منهم فعلًا محرمًا؛ فإن الغَيْرة في ذلك ونحوه مما يحبه الله... والغَيْرة في غير ريبة: نحو أن يغتار الرجل على أمه أن ينكحها زوجها، وكذلك سائر محارمه؛ فإن هذا مما يبغضه الله تعالى؛ لأنَّ ما أحلَّه الله تعالى فالواجب علينا الرضى به؛ فإن لم نرض به كان ذلك من إيثار حمية الجاهلية على ما شرعه الله لنا)[٤].

---

(١) ((شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري)) لعبد الله الغنيمان (٣٣٥/١).

(٢) رواه مسلم (٢٧٦١).

(٣) رواه أبو داود (٢٦٥٩)، والنسائي (٧٨/٥) واللفظ له، وأحمد (٤٤٥/٥) (٢٣٨٠١)، والدارمي (٢٠٠/٢) (٢٢٢٦)، والبيهقي (٣٠٨/٧) (١٥١٩٨). والحديث سكت عنه أبو داود، وقال ابن الملقن في ((شرح البخاري)) (١٠٨/٢٥): إسناده جيد، وحسنه ابن حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (٣٢٥/٣)، والألباني في ((صحيح سنن النسائي)).

(٤) ((نيل الأوطار)) (٢٨٧/٧).

أقوال السلف والعلماء في الغَيْرة:

- كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: (لا تكثر الغَيْرة على أهلك فتُرمى بالسوء من أجلك)[١].

- وقال إسماعيل بن خارجة الفزاري وهو يوصي ابنته: (... وإياك والغيرة؛ فإنها مفتاح الطلاق)[٢].

- وقال أبو الأسود لابنته: (إياك والغَيْرة فإنها مفتاح الطلاق، وعليك بالزينة، وأزين الزينة الكحل؛ وعليك بالطيب، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء)[٣].

- وقال ابن القيم: (إن أصل الدين الغَيْرة، ومن لا غيرة له لا دين له، فالغَيْرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح، فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغَيْرة تميت القلب، فتموت له الجوارح؛ فلا يبقى عندها دفع البتة، ومثل الغَيْرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه، فإذا ذهبت القوة وجد الداء المحل قابلًا، ولم يجد دافعًا، فتمكَّن، فكان الهلاك، ومثلها مثل صياصي الجاموس التي تدفع بها عن نفسه وولده، فإذا تكسرت طمع فيها عدوه)[٤].

- وقال الراغب الأصفهاني عن الغيرة: (جعل اللَّه سبحانه هذه القوة في الإنسان سببًا لصيانة الماء وحفظًا للإنسان، ولذلك قيل: كلُّ أمة وضعت الغَيْرة في رجالها وضعت العفة في نسائها، وقد يستعمل ذلك في صيانة كل ما يلزم الإنسان صيانته)[٥].

---

(١) ذكره الغزالي في ((إحياء علوم الدين)) (٢/٤٦).
(٢) ((أدب النساء الموسوم بكتاب العناية والنهاية)) لعبد الملك بن حَبِيب القرطبي (١٦٤).
(٣) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (٤/٧٦).
(٤) ((الجواب الكافي)) (ص ٦٨).
(٥) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) (ص ٣٤٧).

فوائد الغَيْرة:

١- الغَيْرة دليل على قوة الإيمان بالله.

٢- خصلة يحبها الله سبحانه وتعالى.

٣- هي السياج المعنوي لحماية الحجاب، ودفع التبرج والسفور والاختلاط[١].

٤- الغَيْرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح، فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغَيْرة تميت القلب، فتموت له الجوارح؛ فلا يبقى عندها دفع البتة[٢].

٥- هي من الأسباب الدافعة لإنكار المنكر.

٦- تطهر المجتمع من الرزائل.

٧- الغَيْرة سبب لصون الأعراض.

أقسام الغَيْرة:

أولًا: أقسام الغيرة من حيث كونها غيرة للمحبوب أو عليه

قسَّم ابن القيم الغَيْرة إلى نوعين: (غيرة للمحبوب، وغيرة عليه.

١- فأما الغَيْرة له: فهي الحمية له، والغضب له، إذا استهين بحقه وانتقصت حرمته، وناله مكروه من عدوه؛ فيغضب له المحب ويحمى، وتأخذه الغَيْرة له بالمبادرة إلى التغيير، ومحاربة من آذاه، فهذه غيرة المحبين حقًّا، وهي من غيرة الرسل وأتباعهم لله ممن أشرك به، واستحلَّ محارمه، وعصى أمره، وهذه الغَيْرة هي التي تحمل على بذل نفس المحب وماله وعرضه لمحبوبه؛ حتى يزول ما يكرهه، فهو يغار لمحبوبه أن تكون فيه صفة يكرهها محبوبه ويمقته عليها، أو

---

(١) ((حراسة الفضيلة)) لبكر أبو زيد (ص ٨٧).

(٢) ((الجواب الكافي)) لابن القيم (ص ٦٨).

يفعل ما يبغضه عليه، ثم يغار له بعد ذلك أن يكون في غيره صفة يكرهها ويبغضها، والدين كله في هذه الغَيْرة، بل هي الدين، وما جاهد مؤمن نفسه وعدوه، ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر إلا بهذه الغَيْرة، ومتى خلت من القلب خلا من الدين؛ فالمؤمن يغار لربه من نفسه ومن غيره إذا لم يكن له كما يحبُّ، والغَيْرة تصفي القلب، وتخرج خبثه كما يخرج الكير خبث الحديد.

٢- وأما الغَيْرة على المحبوب فهي: أنفة المحب وحميته أن يشاركه في محبوبه غيره. وهذه أيضًا نوعان: غيرة المحب أن يشاركه غيره في محبوبه، وغيرة المحبوب على محبه أن يحب معه غيره)[١].

ثانيًا: أقسام الغيرة من حيث كونها محمودة أو مذمومة

قال ابن القيم: (وغيرة العبد على محبوبه نوعان:

١- غيرة ممدوحة يحبها الله.

٢- وغيرة مذمومة يكرهها الله.

فالتي يحبها الله: أن يغار عند قيام الريبة.

والتي يكرهها: أن يغار من غير ريبة، بل من مجرد سوء الظن، وهذه الغَيْرة تفسد المحبة، وتوقع العداوة بين المحب ومحبوبه. وفي المسند وغيره عنه قال: ((الغَيْرة غيرتان: فغيرة يحبها الله، وأخرى يكرهها الله، قلنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الغَيْرة التي يحب الله؟ قال: أن تؤتى معاصيه، أو تنتهك محارمه، قلنا: فما الغَيْرة التي يكره الله؟ قال: غيرة أحدكم في غير كنهه))[٢])[٣].

---

(١) ((روضة المحبين ونزهة المشتاقين)) لابن قيم (ص ٣٤٧).

(٢) رواه الخرائطي في ((اعتلال القلوب)) (٧١٧). من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٣) ((روضة المحبين)) (ص ٢٩٧).

(وكما يجب على الرجل أن يغار على زوجته وعرضه؛ فإنه يطلب منه الاعتدال في الغَيْرة، فلا يبالغ فيها حتى يسيء الظن بزوجته، ولا يسرف في تقصي حركاتها وسكناتها؛ لئلا ينقلب البيت نارًا، وإنما يصح ذلك إن بدت أسباب حقيقية تستدعي الريبة)[1]. قال صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ من الغَيْرة ما يحبُّ الله، ومنها ما يكره الله؛ فالغَيْرة التي يحبُّها الله الغَيْرة في الريبة، والغَيْرة التي يكرهها الله الغَيْرة في غير ريبة))[2].

وقد نهى النبي صلي الله عليه وسلم أن يطرق الرجل أهله ليلًا يتخونهم، ويطلب عثراتهم[3].

ويمكن إجمال أسباب الغَيْرة المذمومة في ضعف الإيمان، ووسوسة الشيطان، وما يعتري القلب من أمراض إلى غير ذلك.

ويترتب على هذه الغيرة المذمومة أمور منها: الوقوع في الغيبة والتلبس بالسخرية، وترك بذل الخير للآخرين، السعي في الإضرار بالغير، ومعاداة أقارب الزوج وهضم حقوقهم، والحسد، والحقد، والسحر، والتجسس، والآلام النفسية، والأمراض البدنية، والاحتيال والكيد، والقتل، وقد تصل الغيرة المذمومة بصاحبها إلى الكفر والعياذ بالله.

---

(١) ((خلق المؤمن)) لمصطفى مراد (ص ١٠٩).

(٢) رواه أبو داود (٢٦٥٩)، والنسائي (٥/٧٨)، وأحمد (٥/٤٤٥) (٢٣٨٠١)، والدارمي (٢/٢٠٠) (٢٢٢٦)، والبيهقي (٧/٣٠٨) (١٥١٩٨). من حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه. والحديث سكت عنه أبو داود، وقال ابن الملقن في ((شرح البخاري)) (٢٥/١٠٨): إسناده جيد، وحسنه ابن حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (٣/٣٢٥)، والألباني في ((صحيح سنن النسائي)).

(٣) رواه البخاري (١٨٠١) و مسلم (٧١٥) واللفظ له.

وتتلخص معالجة الغيرة المذمومة في تقوى الله تعالى، ومطالعة الأجر العظيم للصابرين، وإحسان الظن، والقناعة، والبعد عن مجالس السوء، وذكر الموت وتقوية الإيمان باليوم الآخر، والدعاء، وفي الحديث أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لأمِّ سلمة لما ذكرت من غيرتها: ((وأدعو الله أن يذهب بالغَيْرة))[١].

صور الغَيْرة:

١- الغَيْرة لله سبحانه وتعالى:

ومن صور هذه الغَيْرة:

الغيرة لدين الله:

فالمسلم يغار أن تؤتى المعاصي، أو أن تنتهك المحارم، ومن الغيرة لدين الله القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال صلى الله عليه وسلم: ((من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))[٢].

الفرح بزوال الظلم والظلمة:

إن المسلم الغيور ليفرح إذا أزيل منكر، وقمعت فاحشة، وأخمدت فتنة، كيف لا، وربنا يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩].

(بل إن الفرح بما يصيب الناس من البلاء، وإن كان مذمومًا؛ فإنه حين يكون لإصابة مفسد، أو ظالم ببلاء يمنعه من فساده وظلمه، ويجعله لغيره

(١) رواه مسلم (٩١٨).

(٢) رواه مسلم (٤٩).

من الظلمة عبرة، فلا يكون مذمومًا، بل غيرة في الدين، والغَيْرة من الإيمان، ففرحه حينئذ بزوال الفساد والظلم، لا بإصابة البلاء والمصيبة، كما ذكره بعض العلماء)[1]. وكيف لا يفرح المسلم إذا رأى الظلمة والمستبدين يزولون ويتساقطون كأوراق الخريف!!.

٢- الغيرة للرسول صلى الله عليه وسلم:

يجب على كلِّ مسلم أن يغار لرسوله الكريم إذا أُسيء إليه، فيدافع عنه، ويذبُّ عن عرضه، وينصره بما يستطيع.

٣- غيرة الرجل على أهله:

قال النووي: (والرجل غيور على أهله أي: يمنعهم من التعلق بأجنبي بنظر، أو حديث، أو غيره)[2].

وقال ابن القيم: (وأما الغَيْرة على المحبوب فهي: أنفة المحب وحميته أن يشاركه في محبوبه غيره)[3].

أقسام الناس في الغَيْرة على محارم الله:

عدَّ ابن تيمية أقسام الناس في الغَيْرة على محارم الله بعد أن بيَّن الغَيْرة التي يحبها الله، والغَيْرة التي يبغضها الله فقال: (وهنا انقسم بنو آدم أربعة أقسام:

١- قوم لا يغارون على حرمات الله بحال، ولا على حرمها مثل: الديُّوث والقوَّاد وغير ذلك، ومثل أهل الإباحة الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله،

---

(١) ((الغيرة على المرأة)) لعبد الله المانع (ص ٧٢).
(٢) ((شرح النووي على صحيح مسلم)) (١٠/١٣٢).
(٣) ((روضة المحبين)) (ص ٣٤٧).

ولا يدينون دين الحقِّ، ومنهم من يجعل ذلك سلوكًا وطريقًا ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [الأعراف: ٢٨].

٢- وقوم يغارون على ما حرَّمه الله، وعلى ما أمر به مما هو من نوع الحبِّ والكره، يجعلون ذلك غيرة، فيكره أحدهم من غيره أمورًا يحبها الله ورسوله، ومنهم من جعل ذلك طريقًا ودينًا، ويجعلون الحسد والصدَّ عن سبيل الله، وبغض ما أحبه الله ورسوله غَيرة.

٣- وقوم يغارون على ما أمر الله به دون ما حرمه، فنراهم في الفواحش لا يبغضونها ولا يكرهونها، بل يبغضون الصلوات والعبادات، كما قال تعالى فيهم: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩].

٤- وقوم يغارون مما يكرهه الله، ويحبون ما يحبه الله، هؤلاء هم أهل الإيمان)[١].

أسباب ضعف الغَيْرة:

لضعف الغيرة أسباب عديدة، نقتصر على ذكر بعضها فيما يلي:

١- ضعف الإيمان:

يشير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن الغيرة لا تكون إلا من مؤمن بقوله: ((إن الله يغار وإن المؤمن يغار))[٢]. فحياة القلب بالإيمان تجعل الإنسان غيورًا، وبقدر إيمانه تكون غيرته، وإذا ضعف الإيمان ضعفت الغيرة.

(١) ((الاستقامة)) لابن تيمية (٢/ ١٠).

(٢) رواه البخاري (٥٢٢٣) ومسلم (٢٧٦١) واللفظ له.

٢- كثرة الذنوب:

قال ابن القيم: (ومن عقوبات الذنوب: أنها تطفئ من القلب نار الغَيْرة، التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن؛ فالغَيْرة حرارته وناره التي تُخرج ما فيه من الخبث، والصفات المذمومة)[١].

٣- الجهل:

فمن أسباب ضعف الغيرة الجهل بأهمية الغيرة، وخطورة غيابها، فضدُّ الغيرة الدياثة، وضد الغيور الديوث، كذلك الجهل بعظم المسؤولية تجاه الأهل؛ فالرجل محاسب ومسؤول يوم القيامة عن رعيته ومن تحت رعايته.

٤- التقليد للكفار والمفسدين:

فالغيرة من الأخلاق الفاضلة التي يراد لها أن تقلع من بلاد المسلمين، بفعل دعاة تقليد الغرب الذين انعدمت لديهم الغيرة؛ لذا يريدون إماتة خلق الغَيْرة في نفوس المسلمين، وقد حذَّر الإسلام من تقليد الكفار والتشبه بهم، قال صلى الله عليه وسلم: ((من تشبه بقوم فهو منهم))[٢].

٥- وسائل الإعلام الفاسدة:

إن لوسائل الإعلام دورًا كبيرًا في إفساد الناس: كالإذاعة، والتلفاز، والصحف، والشبكة العنكبوتية، وغيرها، فالكثير من هذه الوسائل مليء

---

(١) ((الجواب الكافي)) (ص ٦٦).

(٢) رواه أبو داود (٤٠٣١) واللفظ له، وأحمد (٥٠/٢) (٥١١٤)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٧٥/٢) (١١٩٩). من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه.
والحديث سكت عنه أبو داود، وصحح إسناده الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) (٥٠٩/١٥)، والعراقي في ((تخريج الإحياء)) (٣٥٩/١)، وحسنه ابن حجر في ((فتح الباري)) (٢٨٢/١٠)، وصحح الحديث ابن باز في ((مجموع الفتاوى)) (٣٥٨/٤)، والألباني في ((صحيح الجامع)) (٢٨٣١). والحديث روي من طرق عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

بالأغاني الفاحشة، والصور الخليعة، والمسلسلات الماجنة التي اعتاد الناس مشاهدتها، وغرس قيم وأخلاق لا تمت للإسلام ولا للمسلمين بصلة، فأخذ خلق الغَيْرة يضعف شيئًا فشيئًا.

٦- انتشار المنكرات:

إنَّ انتشار المنكرات في المجتمعات الإسلامية بلا نكير ولا تغيير يجعلها مألوفة لدى الناس، فتضعف الغيرة في القلوب، يقول ابن القيم في أثر المعاصي في الإنسان: و(كلما اشتدت ملابسته للذنوب أخرجت من قلبه الغيرة على نفسه وأهله وعموم الناس، وقد تضعف في القلب جدا حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره)[١].

الوسائل المعينة على اكتساب الغَيْرة[٢]:

يمكن أن تنمَّى الغَيْرة بأمور كثيرة ومنها:

١- تربية الأولاد على الغَيْرة، وغرس هذا الخلق في نفوسهم.

٢- الابتعاد عن أسباب ضعف الغيرة، كالقنوات الفضائية الماجنة، والمجلات الهابطة، وغيرها من وسائل الهدم.

٣- الرجوع إلى قيم الدين وغرسها في نفوس الناس.

٤- التأكيد على دور الرجل.

٥- توعية المجتمع توعية شاملة بجميع وسائل الإعلام، والخطب والمحاضرات.

٦- تعظيم قدر الأعراض، وبيان خطورة ضياعها.

---

(١) ((الجواب الكافي)) لابن القيم (٦٧).

(٢) انظر: ((الغيرة على المرأة)) لعبد الله المانع (ص ٢٣٥).

نماذج في الغَيْرة:

• نماذج من غيرة الأنبياء عليهم السلام:

غيرة داود عليه السلام:

- عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: ((كان داود النبي فيه غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب؛ فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع. قال: فخرج ذات يوم وغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار؛ فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل الدار والدار مغلقة؟ والله لتفتضحن بداود. فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا يمتنع مني شيء، فقال داود: أنت والله ملك الموت فمرحبًا بأمر الله، فرمل داود مكانه[١]؛ حيث قبضت روحه، حتى فرغ من شأنه، وطلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود، فأظلت عليه الطير حتى أظلمت عليهما الأرض، فقال لها سليمان: اقبضي جناحًا جناحًا، قال أبو هريرة: يرينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف فعلت الطير، وقبض رسول الله صلى الله عليه و سلم، وغلبت عليه يومئذ المصرحية))[٢].

غيرة موسى عليه السلام:

- قال الله تعالى: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ

---

(١) الرمل: يقال رمل يرمل رملاً ورملانًا: إذا أسرع في المشي وهز منكبيه. ((النهاية في غريب الحديث)) لابن الأثير (٢/٢٥٦).

(٢) رواه أحمد (٢/٤١٩) (٩٤٢٢). قال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (٢/١٦): إسناده جيد قوي رجاله ثقات، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/٢٠٩): فيه المطلب بن عبد الله بن حنطب وثقه أبو زرعة وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح.

لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ [طه: ٩-١٠].

قال ابن عباس وغيره: (هذا حين قضى الأجل وسار بأهله، وهو مقبل من مدين يريد مصر، وكان قد أخطأ الطريق، وكان موسى عليه السلام رجلًا غيورًا: يصحب الناس بالليل ويفارقهم بالنهار غيرة منه، لئلا يروا امرأته فأخطأ الرفقة لما سبق في علم الله تعالى، وكانت ليلة مظلمة)[١].

- **نماذج من غيرة النبي صلى الله عليه وسلم:**

- غيرته على حرمات الله: النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس غيرة لله، فكان يغضب إذا انتهكت حرمات الله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء يؤتى إليه، حتى ينتهك من حرمات الله، فينتقم لله))[٢] والنماذج والصور على غيرته على محارم الله كثيرة جدًّا.

- غيرته على نسائه: كان أعدل البشر غيرة على نسائه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي رجل قاعد، فاشتدَّ ذلك عليه، ورأيت الغضب في وجهه، قالت: فقلت: يا رسول الله، إنَّه أخي من الرضاعة، قالت: فقال: انظرن إخوتكن من الرضاعة، فإنما الرضاعة من المجاعة))[٣].

قال الحافظ بن حجر: (والمعنى: تأملن ما وقع من ذلك، هل هو رضاع

(١) ذكره القرطبي في ((الجامع لأحكام القرآن)) (١١/١٧١).
(٢) رواه البخاري (٦٨٥٣).
(٣) رواه البخاري (٢٦٤٧) ومسلم (١٤٥٥).

صحيح بشرطه من وقوعه في زمن الرضاعة ومقدار الارتضاع؟ فإنَّ الحكم الذي ينشأ من الرضاع؛ إنما يكون إذا وقع الرضاع المشترط. قال المهلب: معناه انظرن ما سبب هذه الأخوة؛ فإنَّ حرمة الرضاع، إنما هي في الصغر، حتى تسد الرضاعة المجاعة)[1].

- وعن أم سلمة رضي الله عنها ((أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان عندها، وفي البيت مخنث، فقال المخنث لأخي أم سلمة عبد الله بن أبي أمية: إن فتح الله لكم الطائف غدًا، أدلك على بنت غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يدخلنَّ هذا عليكنَّ))[2].

- **نماذج من غيرة الصحابة:**

نماذج من غيرة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يغارون لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ضربوا أروع الأمثلة في محبته وطاعته ونصرته، ومن أمثلة الغيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

- غيرة عمر بن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم:

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة - وهو رجل من بني تميم - فقال: يا رسول الله، اعدل. فقال: ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه. فقال: دعه؛ فإنَّ له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم،

(١) ((فتح الباري)) (٩/١٤٨).

(٢) رواه البخاري (٥٢٣٥) ومسلم (٢١٨٠)، واللفظ للبخاري.

وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم: رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس))[١].

- غيرة عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: استأذن رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليكم. فقالت عائشة: بل عليكم السام واللعنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة، إنَّ الله يحبُّ الرِّفق في الأمر كلِّه. قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: قد قلت: وعليكم))[٢].

- غيرة ابن عمر للنبي صلى الله عليه وسلم:

مرَّ ابن عمر براهب، فقيل: إنَّ هذا سبَّ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (لو سمعته لضربت عنقه، إنَّا لم نعطهم العهد على أن يسبُّوا نبينا صلى الله عليه وسلم)[٣].

- غيرة حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم:

عن عائشة، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ((اهجوا قريشًا، فإنَّه أشدُّ عليها من رشق بالنبل. فأرسل إلى ابن رواحة فقال: اهجهم. فهجاهم

---

(١) رواه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) رواه البخاري (٢٩٣٥)، ومسلم (٢١٦٥).

(٣) رواه الحارث في ((مسنده)) (٢/٥٦١).

فلم يرضَ، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه. ثم أدلع لسانه فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينَّهم بلساني فري الأديم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تعجل، فإنَّ أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإنَّ لي فيهم نسبًا، حتى يلخص لك نسبي. فأتاه حسان، ثم رجع فقال: يا رسول الله، قد لخص لي نسبك، والذي بعثك بالحق، لأسلنَّك منهم كما تسلُّ الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول لحسان: إنَّ روح القدس لا يزال يؤيِّدك، ما نافحت عن الله ورسوله. وقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: هجاهم حسان فشفى واشتفى. قال حسان:

هجوت محمدًا فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمدًا برًّا حنيفًا ... رسول الله شيمته الوفاء
فإنَّ أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بُنيتي إن لم تروها ... تثير النقع من كنفي كداء
يبارين الأعنة مصعدات ... على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات ... تلطمهن بالخمر النساء
فإن أعرضتمو عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لضراب يوم ... يعز الله فيه من يشاء
وقال الله: قد أرسلت عبدًا ... يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله: قد يسرت جندًا ... هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد ... سباب أو قتال أو هجاء

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء))[١]

- **نماذج أخرى من غيرة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم:**

عن عثمان الشحام قال: ((كنت أقود رجلًا أعمى، فانتهيت إلى عكرمة فأنشأ يحدثنا قال: حدثني ابن عباس أنَّ أعمى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت له أمُّ ولد، وكان له منها ابنان، وكانت تكثر الوقيعة برسول الله صلى الله عليه وسلم وتسبه، فيزجرها فلا تزدجر، وينهاها فلا تنتهي، فلما كان ذات ليلة ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم فوقعت فيه، فلم أصبر أن قمت إلى المعول، فوضعته في بطنها، فاتكأت عليه، فقتلتها فأصبحت قتيلًا، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجمع الناس، وقال: أنشد الله رجلًا لي عليه حق فعل ما فعل إلا قام. فأقبل الأعمى يتدلدل، فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها كانت أمَّ ولدي، وكانت بي لطيفة رفيقة، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، ولكنها كانت تكثر الوقيعة فيك، وتشتمك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تزدجر، فلما كانت البارحة ذكرتك فوقعت فيك، فقمت إلى المعول، فوضعته في بطنها، فاتكأت عليها حتى قتلتها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا اشهدوا أنَّ دمها هدر))[٢].

- عن هشام بن زيد بن أنس بن مالك قال: سمعت أنس بن مالك يقول:

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٣٦١)، والنسائي (١٠٧/٧)، والطبراني (٣٥١/١١) (١١٩٨٤)، والبيهقي (٦٠/٧) (١٣٧٥٧).

قال ابن حجر في ((بلوغ المرام)) (٣٦٣): رواته ثقات، وصححه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود))، وقال الوادعي في ((الصحيح المسند)) (٦٠١) حسن رجاله رجال الصحيح.

(مرَّ يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: السام عليك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعليك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرون ما يقول؟ قال: السام عليك. قالوا: يا رسول الله، ألا نقتله؟ قال: لا، إذا سلَّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم)[1].

- **نماذج أخرى في الغيرة:**

غيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص: ((أن نفرًا من بني هاشم دخلوا على أسماء بنت عميس، فدخل أبو بكر الصديق، وهي تحته يومئذ، فرآهم، فكره ذلك، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: لم أرَ إلا خيرًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ الله قد برأها من ذلك. ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال: لا يدخلنَّ رجل، بعد يومي هذا، على مغيبة، إلا ومعه رجل أو اثنان))[2].

غيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

- كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أعظم الصحابة غيرة على النساء، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم غيرته في الرؤيا التي رأى فيها قصر عمر بن الخطاب في الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته، فوليت مدبرًا . فبكى عمر، وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟!))[3].

(١) رواه البخاري (٦٩٢٦).
(٢) رواه مسلم (٢١٧٣).
(٣) رواه البخاري (٣٢٤٢) ومسلم (٢٣٩٥)، واللفظ للبخاري.

- وعن ابن عمر قال: ((كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله))(١).

- وقد أشار على الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يحجب نساءه، ثم نزل القرآن موافقًا له، فعن أنس رضي الله عنه قال: (قال عمر: وافقت ربي في ثلاث، فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى. فنزلت ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنَّه يكلمهنَّ البرُّ والفاجر. فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغَيْرة عليه، فقلت لهنَّ: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرا منكن، فنزلت هذه الآية)(٢).

غيرة عائشة رضي الله عنها:

- فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدَّثت، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا. قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع. فقال: ((ما لك؟ يا عائشة! أغرت؟ فقلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقد جاءك شيطانك؟. قالت: يا رسول الله! أو معي شيطان؟. قال: نعم. قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم. قلت: ومعك؟ يا رسول الله! قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم))(٣).

---

(١) رواه البخاري (٩٠٠) ومسلم (٤٤٢) واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري (٤٠٢).

(٣) رواه مسلم (٢٨١٥).

- وعنها أيضًا رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة على عائشة وحفصة فخرجنا معه جميعا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان الليل سار مع عائشة يتحدث معها، فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك فتنظرين، وأنظر. قلت: بلى. فركبت حفصة على بعير عائشة وركبت عائشة على بعير حفصة، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جمل عائشة وعليه حفصة فسلَّم، ثم سار معها حتى نزلوا، فافتقدته عائشة فغارت، فلما نزلت جعلت تجعل رجليها بين الإذخر، وتقول: يا رب سلِّط عليَّ عقربًا أو حية تلدغني، رسولك ولا أستطيع أقول له شيئًا)[1].

- وعنها رضي الله عنها، قالت: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلواء، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهنَّ، فدخل على حفصة بنت عمر، فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فغرت، فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل، فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالنَّ له، فقلت لسودة بنت زمعة: إنَّه سيدنو منك، فإذا دنا منك فقولي: أكلت مغافير، فإنَّه سيقول لك: لا، فقولي له: ما هذه الريح التي أجد منك، فإنَّه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: جرست نحله العرفط، وسأقول ذلك، وقولي أنت يا صفية ذاك، قالت: تقول سودة: فوالله ما هو إلا أن قام على الباب، فأردت أن أباديه بما أمرتني به فرقًا منك، فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله، أكلت مغافير؟ قال: لا. قالت: فما هذه

---

(١) رواه البخاري (٥٢١١) ومسلم (٢٤٤٥) واللفظ له.

الريح التي أجد منك؟ قال: سقتني حفصة شربة عسل. فقالت: جرست نحله العرفط، فلما دار إلي قلت له نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت: يا رسول الله، ألا أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي فيه. قالت: تقول سودة: والله لقد حرمناه، قلت لها: اسكتي))(١).

غيرة سعد بن عبادة رضي الله عنه:

- وقال سعد بن عبادة رضي الله عنه: (لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصْفح، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: تعجبون من غيرة سعد؟! والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن)(٢).

غيرة الزبير رضي الله عنه:

- وعن أسماء رضي الله عنها: تزوَّجني الزبير، وما له في الأرض من مال ولا مملوك، ولا شيء غير ناضح، وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه، وأسقي الماء، وأخرز غربه، وأعجن ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه النبي على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ، فجئت يوما والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الأنصار، فدعاني، ثم قال: (إخ، إخ. ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته- وكان أغير الناس- فعرف النبي صلى الله عليه وسلم أني قد استحييت، فمضى، فجئت الزبير، فقلت: لقيني رسول الله صلى الله عليه

---

(١) رواه البخاري (٥٢٦٨) ومسلم (١٤٧٤) واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري (٧٤١٦) ومسلم (١٤٩٩).

وسلم وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب، فاستحييت منه، وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد عليَّ من ركوبك معه. قالت: حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني[1].

الغَيْرة في واحة الشعر:

قال الخريمي:

ما أحسنَ الغَيْرَةَ في حينِها ... وأقبحَ الغَيْرَةَ في كلِّ حينِ

من لم يزلْ متهمًا عرسَه ... مناصبًا فيها لريبِ الظُّنونِ

أوشك أن يُغريَها بالذي ... يخاف أن يبرزها للعيونِ

حسبك من تحصينها وضعُها ... منك إلى عِرض صحيح ودينِ

لا تطَّلع منك على ريبة ... فيتبعَ المقرونُ حبلَ القرينِ[2]

وقال آخر في غيرته على زوجته:

أغارُ عليك مِن نفسي ومني ... ومنك ومِن مكانِك والزمانِ

ولو أني خبَأتُك في عيوني ... إلى يومِ القيامةِ ما كفاني[3]

وقال ابن مطروح:

ولو أمسى على تلفي مصرًّا ... لقلتُ معذبي بالله زدني

ولا تسمحْ بوصلِك لي فإني ... أغارُ عليك منك فكيف مني[4]

---

(١) رواه البخاري (٥٢٢٤) ومسلم (٢١٨٢) واللفظ للبخاري.

(٢) ((الشعر والشعراء)) لابن قتيبة (١٤٨/٩).

(٣) ((المستطرف)) للأبشيهي (ص ٤٣٣).

(٤) ((المصدر السابق)) (ص ٤٣٣).

فهرس الموضوعات

